جامعة قطر
كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها
دراسة مقارنة (من سورة الذاريات إلى سورة المرسلات)

إعداد
إبراهيم حافظ سيد أحمد

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات
كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية
للحصول على درجة الماجستير في
التفسير وعلوم القرآن

رمضان 1441هـ/ يونيو 2020 م

©2020. إبراهيم حافظ سيد أحمد. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ إبراهيم حافظ سيد أحمد بتاريخ 14 شعبان 1441 هجري، الموافق لـ 7 إبريل 2020 ميلادي، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه . وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

الاسم أ.د محمد المجالي

المشرف على الرسالة

الاسم أ.د عبد الجبار سعيد

مناقش

الاسم أ.د محمد آيدين

مناقش

الاسم

مناقش

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية.

المُلخَّص

إبراهيم حافظ سيد أحمد، ماجستير في ماجستير التفسير وعلوم القرآن

يونيو 2020م.

العنوان: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها دراسة مقارنة من سورة الذاريات إلى سورة المرسلات

المشرف على الرسالة: أ. د/ محمد المجالي

تعنى هذه الرسالة بدراسة التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، وهي دراسة مقارنة من سورة الذاريات إلى سورة المرسلات، وقد درست الرسالة أقوال المفسرين وناقشت هذه الأقوال مبينة الاتفاق والاختلاف فيما بينها، مع الحكم عليها.

وحاولت الرسالة الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما أهمية دراسة المناسبات بين السور القرآنية؟ وكيف يمكن توظيفها في فهم المعنى العام للسورة وربط المطالع بالمقاطع؟ وكيف يمكن فهم توجيهات الأئمة؟ وهل هناك تباين بين آراء الأئمة في ذكر المناسبات؟ وما مدى توافقهم واختلافهم؟ وما الذي اتفق وانفرد إليه المفسرون في السور المحددة؟

وقد جاءت الرسالة في ثلاثة فصول، وخاتمة، تناولت في الفصل الأول التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الذاريات إلى سورة الحشر، وتناول الفصل الثاني التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الممتحنة إلى سورة القلم، أما الفصل الثالث فتناول التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الحاقة إلى سورة المرسلات، يعقبها الخاتمة وقد احتوت على مجموعة من النتائج والتوصيات.

وقد خلصت الدراسة إلى نتائج من أهمها: أن المناسبة قد تكون واضحة جلية، وقد تكون خفية تحتاج إلى مزيد تأمل وتدبر، وعدم ظهورها في مواضع لا تعني عدم وجودها. وهناك سور اتفقت وجوه المناسبة فيها عند المفسرين، وهناك سور تباينت فيها آراؤهم، والاختلاف في هذا المجال هو من باب اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

Abstract

Title: The Connection between the Beginning of Surahs and the Ending of the previous Surahs: A Comparative Study from Surat Al Thariyat to Surat Al Mursalat

This paper studies the connection (*Tanasub*) between the beginning of surahs and the ending of the previous one from Surat Al Thariyat to Surat Al Mursalat. It examines exegetes' interpretations while showing the similarities and differences among them as well as drawing conclusions.

The study attempts to answer several questions: what is the significance of studying the connection between Surahs? How to apply the science of connection to help understand the general meanings of the surahs and to connect the beginnings with the different sections of the surah? How to best understand the deductions of scholars? What are the different connections stated by exegetes? How do these connections differ? What are the points on which exegetes agree upon and those on which they differ?

The study consists of three chapters and a conclusion, where the first Chapter addresses the connection between the beginning of surahs and the ending of the previous one from Surat Al Thariyat to Surat Al Hashr. The second chapter continues from Surat Al Mumtahina to Surat Al Qalam. The third Chapter discusses the same from Surat Al Haqqah to Surat Al Mursalat. After that, the conclusion chapter states the results and recommendations.

This study offers a number of conclusions including that connections are sometimes explicit and other times implicit requiring further contemplation. The fact that implicit connections are not apparent, does not mean that they do not exist. Some connections are common among exegetes and some are not, however, different connections do not signify conflict of meanings, but rather diversity in meanings.

شكر وتقدير

الحمد الله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، أما بعد..

فإني أشكر الله سبحانه وتعالى ذا الفضل والإنعام، على نعمة الختام، الذي ما تم جهدٌ إلا بمنِّه، ولا كان سعيٌ إلا بكرمه.

كما أزجي شكراً وافراً وثناءً عاطراً لوالديَّ الكريمين على إرشاداتهما القيِّمة، ودعواتهما الطيِّبة –أمدَّ الله في أعمارهما على طاعته ومرضاته–.

وأتوجه بالشكر العميم والثناء الجزيل إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد المجالي العميد المساعد لشؤون البحث والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة قطر –حفظه الله– لقبوله الإشراف على رسالتي رغم كثرة أعبائه وأشغاله، وبذل وقته الثمين في المتابعة، وإجراء التصويبات والتعديلات، وإبداء الملاحظات، فجزاه الله عني كل خير.

كما أتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان لكل من أولى وأعان في وصولي إلى هذا المقام من المشايخ الفضلاء، والإخوة الزملاء، وكل من تفضل عليَّ بتوجيهٍ أو إرشادٍ أو نصحٍ أو بيان.

وأشكر أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الكرام على ملاحظاتهم السديدة ونصائحهم الرشيدة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لإدارة الكلية، ولعميدها الفاضل الدكتور إبراهيم الأنصاري، والهيئة التدريسية والإدارية، وفق الله القائمين عليها إلى كل خير.

والشكر موصول إلى كل من له حقٌّ عليَّ، وأساتذتي الفضلاء، جزاهم الله عني خير الجزاء، وأجزل لهم المثوبة والعطاء، وأسأله سبحانه أن يجمعني بهم في مستقر رحمته، ودار كرامته، إنه جواد كريم.

فهرس المحتويات

المُلخَّص ..... **ت**

فهرس المحتويات ..... **ح**

المقدّمة **1**

الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الذاريات إلى سورة الحشر **8**

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الذاريات وخاتمة سورة ق 9

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة الطور وخاتمة سورة الذاريات. 14

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة النجم وخاتمة سورة الطور 18

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة القمر وخاتمة سورة النجم 23

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة الرحمن وخاتمة سورة القمر 28

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة الواقعة وخاتمة سورة الرحمن 36

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة الحديد وخاتمة سورة الواقعة 43

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة المجادلة وخاتمة سورة الحديد 48

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة الحشر وخاتمة سورة المجادلة 55

الفصل الثاني: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الممتحنة إلى سورة القلم. **60**

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الممتحنة وخاتمة سورة الحشر 61

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة الصف وخاتمة سورة الممتحنة 66

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة الجمعة وخاتمة سورة الصف 71

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة المنافقون وخاتمة سورة الجمعة 78

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة التغابن وخاتمة سورة المنافقون 83

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة الطلاق وخاتمة سورة التغابن 89

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة التحريم وخاتمة سورة الطلاق 94
المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة الملك وخاتمة سورة التحريم 98
المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة القلم وخاتمة سورة الملك..... 103

الفصل الثالث: التناسب بين فواتح السور وخواتم من قبلها من سورة الحاقة إلى سورة المرسلات. 108

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الحاقة وخاتمة سورة القلم 109
المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة المعارج وخاتمة سورة الحاقة 113
المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة نوح وخاتمة سورة المعارج 117
المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة الجن وخاتمة سورة نوح 121
المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة المزمل وخاتمة سورة الجن..... 126
المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة المدثر وخاتمة سورة المزمل 130
المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة القيامة وخاتمة سورة المدثر 134
المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة الإنسان وخاتمة سورة القيامة 138
المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة المرسلات وخاتمة سورة الإنسان 142

الخاتمة..... 146

قائمة المراجع والمصادر..... 148

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد ..

فلا شك أن العلماء الأجلاء قد سطروا بجلاء أهمية علم المناسبات، وبينوا عظيم فائدته بمعرفته؛ ذلك لأنه باب يُعبر من خلاله إلى التماس لطائف القرآن وروائعه، وجمال النظم ودقائقه، في حين أن المتتبع لتفاسير السلف يجدهم يتحدثون أحياناً عن المناسبات في بعض المواطن وهي وإن كانت قليلة إلا أنها تنبئ عن أهمية جانب المناسبات في العلوم القرآنية، وإلقاء الضوء عليها من الأمور التي تخدم هذا الكتاب العزيز.

وقد تحدث العلماء عن أنواع من العلاقات المختلفة؛ كالعلاقة بين الآية والآية، والعلاقة بين السورة والسورة، والعلاقة بين بداية السورة الواحدة ونهايتها، والعلاقة بين أجزاء الآية الواحدة، وعلاقة السورة بعدة سور قبلها أو بعدها، والعلاقة بين نهاية السورة وبداية السورة التي تليها، وهذا الأخير هو مدار هذا البحث بحول الله، وذلك بإيراد أقوال بعض أئمة هذا الفن سواءً من المتقدمين أو المعاصرين ومن ثم مناقشتها والمقارنة بينها مع الحكم عليها، ساعياً إلى فهم تصور هؤلاء في صور المناسبات في السور المختارة مع بيان أوجه جديدة للتناسب.

وقد اعتمدت هذه الرسالة بشكل أساسي على التراث التفسيري لأنه يساعد على الفهم السوي للقرآن، بيد أنها ذكرت أقوالهم بأسلوب الباحث ونسبت أفكارهم إليهم؛ تجنباً للنقول الطويلة، وتفادياً للاقتباسات العريضة، بالإضافة إلى بسطها وتلخيصها بحيث لا يضيع المغزى ولا يخل بالمعنى، كما حرصت على مناقشة الأقوال مع الحكم عليها.

وفيما يتعلق بتعريف السور اكتفت الرسالة –في معظم الأحيان– على ما ذكره الطاهر ابن عاشور لحسن عرضه من ناحية، وخروجاً من الخلافات من ناحية أخرى، وفيما ذكره رحمه الله غنية للقارئ، وبغية للطالب.

كما حاولت الرسالة إيجاد وجوه أخرى للمناسبةٍ سوى التي أشير إليها، وحرصَت على إخراجها من كل سورة بعد إمعان نظر، وإعمال جهد وفكر.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تأتي أهمية الموضوع من خلال:

1- محاولة فهم مراد الله تعالى وعدم الوقوع في التأويلات البعيدة في المناسبات.

2- طريق لمعرفة حكم القرآن ودرره في العلاقات بين السور.

3- يعد علم التناسب من العلوم المهمة التي تكشف عن وجه الإعجاز في ترتيب سور القرآن.

4- إبراز روائع المناسبات بين السور والآيات وإظهار النظم العجيب في ذلك.

5- بيان آراء علماء أفذاذ في هذا الموضوع ومناقشة أقوالهم.

6- استكمال جهود السابقين في هذا الصدد بإضافات جديدة إليها.

أهداف البحث:

1-ابتغاء مرضاة الله تعالى وخدمة كتابه ودينه.

2-الدواعي النفسية والرغبة الذاتية في البحث حول الموضوع وإجراء دراسة حوله.

3-استكمال للمشروع الجماعي الذي يختص بجانب المناسبات بين فواتح السور وخواتم ما قبلها في سور القرآن الكريم كاملاً.

4-بيان جوانب الإعجاز من خلال إظهار التنسيق الدقيق لسور القرآن وآياته، وإظهار المناسبات بين فواتح السور وخواتم ما قبلها.

5-إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية ولطلبة العلم المهتمين بعلوم القرآن.

إشكالية البحث وأسئلته:

1- ما أهمية دراسة المناسبات بين فواتح السور القرآنية وخواتم ما قبلها؟ وكيف يمكن توظيفها في فهم المعنى العام للسورة؟

2-وهل يمكن الجمع بينها؟ وكيف يمكن فهم توجيهات الأئمة؟

3-وهل هناك تباين بين آراء الأئمة في ذكر المناسبات؟ وما مدى توافقهم واختلافهم؟

فرضيات البحث:

تفرض هذه الدراسة ما يأتي:

1-التناسب بين الفواتح والخواتم يوجد في كل السور.

2-ترجيح الرأي القائل بأن ترتيب السور توقيفي وليس اجتهادي.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على ذكر أوجه التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الذاريات إلى سورة المرسلات.

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاعي على ما كتب حول الموضوع، ارتأيت أن أقسمه إلى قسمين:

أولًا المؤلفات:

منها ما جاء في باب من أبوابها كالبرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي.

ومنها ما أُلِّف خِصيصًا لها؛ مثل-: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ للبقاعي. والبرهان في تناسب سور القرآن؛ لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي. وتناسق الدرر في تناسب السور؛ للسيوطي. ومصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور؛ للشيخ عادل بن محمد (أبو العلاء). وعلم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد بازمول. وإمعان النظر في نظام الآي والسور؛ للدكتور محمد عناية الله سبحاني. وعلم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد بازمول.

ثانيًا: الرسائل والدراسات:

1- **أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت**، رسالة ماجستير للباحثة مقبولة علي مسلم الحصيني، بإشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحافظ بن إبراهيم البقري، جامعة أم القرى بالسعودية، ٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، اقتصرت هذه الدراسة على سورة العنكبوت.

2- **التناسب في سورة البقرة**، رسالة ماجستير للباحث طارق مصطفى محمد حميدة، بإشراف الأستاذ الدكتور حاتم جلال التميمي، جامعة القدس فلسطين، 1428هـ - 2007م، وهي دراسة تناولت التناسب في سورة البقرة فقط.

3- **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية للجزء الأول من سورة البقرة**، رسالة ماجستير للباحث أحمد محمد عطية المنيراوي، الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين 1431هـ -2010م، تقتصر هذه الدراسة على الجزء الأول من القرآن الكريم.

4- **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية لسورة الأعراف**، رسالة ماجستير للباحثة إيمان عيد علي درويش، إشراف الدكتور وليد محمد حسن العمودي، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية – غزة، فلسطين، 1431هـ -2010م، وهي دراسة تقتصر على سورة الأعراف.

5- **المناسبة بين الفواصل القرآني وآياتها: دراسة تطبيقية على سورة الحجر والنحل والإسراء**، رسالة ماجستير للباحث عبد الله سالم سلامة، بإشراف الأستاذ الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي، كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية – غزة، فلسطين، ٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م، وهي دراسة محددة على السور المذكورة.

6- **أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني**، رسالة دكتوراه للدكتور محمد عامر محمد، قدمها إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة. وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه. في فلسفة اللغة العربية وآدابها بإشراف الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد 1432هـ- 2011م. تناولت هذه الرسالة في الفصل الأول أثر المناسبة بين الآية الواحدة، وتناول الفصل الثاني أثر المناسبة بين الآيات، بينما الفصل الثالث تناول الحديث عن المناسبات بين السور إلا أن الحديث لم يشمل جميع سور القرآن، ووقفت في المناسبة على سورتين فقط وهما سورة الفتح وسورة محمد ضمن الحصة المخصصة لي في الدراسة من الذاريات إلى المرسلات.

7- **المناسبات بين الآيات والسور**: فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها؛ للدكتور سامي عطا حسن، جامعة آل البيت. كان الفصل الأول تحت عنوان: ترتيب آيات القرآن، وسوره. وتحته مبحثين: الأول فيه تعريف الآية لغة واصطلاحا. وآراء العلماء في ترتيب الآيات.

والثاني تضمن تعريف السورة لغة، واصطلاحا، وآراء العلماء في ترتيب السور .والفصل الثاني تحته أربعة مباحث، المبحث الأول عن معنى المناسبة في اللغة والاصطلاح .والثاني عن فوائد معرفتها. والثالث عن أنواع المناسبات. والرابع عن موقف العلماء من المناسبة، مع ذكر مصنفاتهم فيها ، لكنه فيما يتعلق به فواتح السور وخواتم ما قبلها لم يتتبع جميع سور القرآن.

وتميزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة من عدة نواحي:

اعتناؤها بقضية المناسبة بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الذاريات إلى سورة المرسلات، بالإضافة إلى جمع أقوال المفسرين في هذا الصدد وتحليلها ودراستها وتوجيهها، وأبرزت وجوهاً أخرى في المناسبة مما لم تعرض في كتب التفسير.

منهج البحث:

يعتمد البحث على مناهج عدة منها:

– المنهج الاستقرائي: عن طريق تتبع المناسبات بين تلك السور وجمعها وإظهار العلاقات بينها.

– المنهج التحليلي: ويتمثل في التفسير والتحليل والاستنباط.

– المنهج المقارن: ويعتمد على المقارنة بين الأقوال في المناسبات مع بيان الرأي الأوفق والأنسب.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وثلاثة فصول يحتوي كل فصل على تسعة مباحث، وخاتمة.

الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الذاريات إلى سورة الحشر

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الذاريات وخاتمة سورة ق

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة الطور وخاتمة سورة الذاريات

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة النجم وخاتمة سورة الطور

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة القمر وخاتمة سورة النجم

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة الرحمن وخاتمة سورة القمر

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة الواقعة وخاتمة سورة الرحمن

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة الحديد وخاتمة سورة الواقعة

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة المجادلة وخاتمة سورة الحديد

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة الحشر وخاتمة سورة المجادلة

الفصل الثاني: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الممتحنة إلى سورة القلم.

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الممتحنة وخاتمة سورة الحشر.

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة الصف وخاتمة سورة الممتحنة.

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة الجمعة وخاتمة سورة الصف.

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة المنافقون وخاتمة سورة الجمعة.

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة التغابن وخاتمة سورة المنافقون.

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة الطلاق وخاتمة سورة التغابن.

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة التحريم وخاتمة سورة الطلاق.

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة الملك وخاتمة سورة التحريم.

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة القلم وخاتمة سورة الملك.

الفصل الثالث: التناسب بين فواتح السور وخواتم من قبلها من سورة الحاقة إلى سورة المرسلات.

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الحاقة وخاتمة سورة القلم.

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة المعارج وخاتمة سورة الحاقة.

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة نوح وخاتمة سورة المعارج.

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة الجن وخاتمة سورة نوح.

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة المزمل وخاتمة سورة الجن.

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة المدثر وخاتمة سورة المزمل.

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة القيامة وخاتمة سورة المدثر.

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة الإنسان وخاتمة سورة القيامة.

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة المرسلات وخاتمة سورة الإنسان.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الذاريات إلى سورة الحشر

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الذاريات وخاتمة سورة ق

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة الطور وخاتمة سورة الذاريات

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة النجم وخاتمة سورة الطور

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة القمر وخاتمة سورة النجم

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة الرحمن وخاتمة سورة القمر

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة الواقعة وخاتمة سورة الرحمن

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة الحديد وخاتمة سورة الواقعة

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة المجادلة وخاتمة سورة الحديد

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة الحشر وخاتمة سورة المجادلة

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الذاريات وخاتمة سورة ق

خاتمة سورة ق:

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق].

فاتحة سورة الذاريات:

قال الله تعالى: وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ [الذاريات].

أولًا: التعريف بسورة الذاريات

سورة الذاريات مكية باتفاق، وهي ستون آية، نزلت بعد سورة الأحقاف وقبل سورة الغاشية، اشتملت على مواضيع تخص العقيدة، فالمحور الرئيس الذي تدور عليه الآيات هو البعث والنشور، كما اشتملت السورة على أسلوب الترغيب والترهيب، والحديث عن الثواب والعقاب على حد سواء، وتقوم السورة على تشييد دعائم الإيمان والإشارة إلى قدرة العزيز الجبار وتثبيت عقيدة المؤمن[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

أبدى الإمام الرازي التناسب من خلال موضوع السورة، فسورة ق الحديث فيها عن الحشر ودلائله، وقال في آخرها ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾(سورة ق:44) وبعد هذا البيان وإقامة الحجة والبرهان الدال على صدقه، ومع تماديهم في الكفر والعناد، لم يبق في أول هذه إلا اليمين فقال:﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾(الذاريات:1) إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ (الذاريات:1-5)[2]. وذكر الإمام ابن الزبير الغرناطي أن سورة ق بنيت على ذكر المواعيد الأخروية، وعظيم أحوال ذلك اليوم، وفي هذه أقسم على صحة وقوعه[3].

---

[1] ينظر: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، (المتوفى: 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ن: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:2، 1384هـ - 1964 م، ج17، ص29؛ ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ن: الدار التونسية للنشر – تونس، س.ن: 1984 هـ، (د.ط) ،ج26، ص335-336.

[2] ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي (المتوفى: 606هـ)، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، – بيروت، ط:4 ، ت.ط: 2001م، ج10، ص159.

[3] ينظر: الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، (627هـ-708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن** تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، السعودية، ط:١، ت.ط: محرم 1428هـ، ص171.

وبين الإمام أبو حيان "مناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال ﴿..فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ ق: ٤٥، وقال أول هذه بعد القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾"[1].

أخذ الإمام النيسابوري الفكرة من الإمام الرازي إلا أنه صاغها بأسلوب من عنده[2].

وقال الإمام البقاعي أنه (لما ختم سبحانه ق بالتذكير بالوعيد، افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه، فقال مناسباً بين القسم والمقسم عليه: {والذاريات})[3].

ووجه المناسبة عند الإمام السيوطي أنه لما ختمت سورة 'ق' بذكر البعث والجزاء والجنة والنار وغير ذلك من أحوال القيامة، افتتح هذه بالإقسام على صدق وقوع الحشر والجزاء[4].

وقد بين الإمام الفراهي أن سورة 'ق' فيها إثبات البعث وإبطال شبههم فيه، ثم أتبع ذلك بذكر الأمم المكذبة إشارة إلى عاقبة المكذبين، وسورة الذاريات لما جعلها في الجزاء بالمقام الأول ابتدأت بقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾، وهذا الوعد فيه الرحمة والعذاب، لأن لفظ ﴿ٱلدِّينَ﴾ عام في إيفاء كل ذي حق حقه[5].

---

[1] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، ت:صدقي محمد جميل، ن: دار الفكر- بيروت، ط: 1420هـ، ج9،ص548.

[2] ينظر: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (المتوفى: 850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ت: زكريا عميرات، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1 - 1416هـ، ج6، ص184.

[3] البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن (المتوفى: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة، 1984م، ج18، ص444، ينظر كذلك: **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ت: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف – الرياض، ط:1، ت.ط:1408هـ، ج3، ص24.

[4] ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن كمال الدين، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ت: أحمد عطا، دار الكتب العلمية – لبنان، ط1، ت:ط 1406هـ، ص118.

[5] ينظر: الفراهي: عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر الأنصاري الفراهي (ت:1349هـ)، **نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ط: الدائرة المحمدية – الهند، ط1، 2008م، ص119، 120.

وأوضح الإمام الآلوسي أن سورة 'ق' لما ختمت بذكر البعث والجزاء والجنة والنار، افتتحت هذه بالإقسام على صدق وقوع ذلك. وأضاف: "أن هناك ذكر إهلاك كثير من القرون على وجه الإجمال، وذكر هنا إهلاك بعضهم على سبيل التفصيل"[1].

وعند الإمام المراغي وجهان للتناسب: ذكر البعث والحشر في الأولى وأقسم على صدق وقوعه في الثانية. والثاني: أن هناك ذكر كثير من الأمم المكذبة على وجه الإجمال، وذكر بعض تلك الأمم في الثانية بشيء من التفصيل[2].

وذكر الشيخ الغماري التناسب ببيان أنه تعالى لما ذكر في السابقة ما أعد للكفار من العذاب وللمؤمنين من الثواب، وختم ذلك بذكر صيحة البعث وما يعقب ذلك، ابتدأ هذه فأقسم عدة أقسام على أن ما يوعدون به هو آت لا ريب فيه، وأن الجزاء واقع لا محالة[3].

وأعجبني ما أشار إليه سيد قطب –رحمه الله– من تحقق ما وعد الله به للناس في الصورة التي يريدها، وفي الوقت الذي يريده، وما يحتاج الأمر إلى قسم منه سبحانه؛ إنما يقسم بخلائقه تلك لتوجيه القلب إليها بأن وعد الله –بارئ هذه الخلائق بهذا النظام– لابد صادق، وأن حسابه على الخير والشر والصلاح والفساد لابد واقع[4].

---

[1] الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ت: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ت.ط1415هـ، ج14، ص3.

[2] ينظر: المراغي: أحمد مصطفى،(المتوفى: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط:1، 1946م، ج26، ص173.

[3] ينظر: الغماري: أبو الفضل عبد الله محمد، **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، ط: مكتبة القاهرة، د.ت – مصر، ص106.

[4] سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن**، الطبعة الشرعية الأولى1972، دار الشروق، الطبعة الشرعية السادسة والثلاثون 1428هـ، 2007م، القاهرة، البيروت، ج6، ص3375، (نقل بتصرف).

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال ما تقدم من كلام المفسرين حول التناسب نجد أن القضية الأساسية في خاتمة "سورة ق" هي قضية إثبات الحشر والبعث والجزاء، ثم ابتدأت سورة الذاريات بالقسم على صحة وقوع هذا الأمر، وهي من صور التناسب الظاهرة بين السورتين.

كما ذكروا وجها آخر وهو الإشارة إلى طريقة عرض قصص الأمم التي أهلكها الله في السورتين، ففي الأولى جاء ذكرهم على وجه الإجمال بخلاف الثانية التي جاء ذكرهم فيها بشيء من التفصيل، وهذا له نظائر في القرآن.

وتبين لي وجه في المناسبة أنه قال في آخر سورة ق (فذكر) إشارةً إلى المرسَل، (بالقرآن) إشارةً إلى المنزَل، (وعيد) إشارةً إلى اليوم الآخر، وسورة الذاريات في أولها إثبات البعث إشارةً إلى اليوم الآخر، وفي أوسطها اعتبار بما حل بالأمم إشارةً إلى الذي أخبر بذلك وهو الكتاب المنزل، وفي آخرها حديث تكذيب الأمم للرسل إشارةً إلى المرسَلين، فسورة الذاريات مبنية على ما احتوت عليه آخر آية في سورة ق على هيئة المقابلة بين السورتين، هذا ما ظهر لي والله أعلم.

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة الطور وخاتمة سورة الذاريات.

خاتمة سورة الذاريات:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ۝٥٩ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ۝٦٠﴾ [الذاريات].

فاتحة سورة الطور:

قال الله تعالى:﴿وَٱلطُّورِ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ۝٨﴾ [الطور].

أولًا: التعريف بسورة الطور

مكية، وهي تسع وأربعون آية، نزلت بعد سورة نوح، وقبل سورة المؤمنون، وذكر صاحب الكشاف أنها نزلت بعد السجدة. وهي الخامسة والسبعون وفق ترتيب النزول. احتوت –كعادة السور المكية– على موضوعات الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء، فابتدأت بالحديث عن الآخرة وأهوالها، ومصير الكافرين يومها، ثم جاء الحديث عن المؤمنين المتقين، وحالهم في الآخرة، كما تحدثت عن رسالة النبي المصطفى ﷺ وما أمر به من التبليغ والدعوة و ردت على مزاعمهم الباطلة بأنه ليس بساحر ولا مجنون. وختمت بحث النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر وتسبيحه سبحانه في كل حين[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

وجه المناسبة عند الإمام الرازي[2] والغرناطي[3] وأبو حيان[4] والبقاعي[5] وسيد قطب أن سورة الذاريات فيها ذكر للأمم السابقة وما جرى لهم وكيف انتهى بهم الأمر بألفاظ موجزة ومعاني عظيمة، كقصة إبراهيم وموسى وعاد وثمود، والاعتبار بما حل بهم جراء كفرهم وعنادهم، وتكذيبهم لرسلهم، ومحاربتهم لدعوتهم، ثم جاء في خاتمتها تأكيد وقوع عذاب الله للظالمين، فقال تعالى﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾ (الذاريات)، وفي مطلع سورة الطور قال: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ فبعد أن "قسم الله سبحانه بهذه الخلائق العظيمة على أمر عظيم

---

[1] – ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ن: دار الكتاب العربي – بيروت، ط:3 - 1407 هـ، ج4، ص408. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج27، ص35. وينظر كذلك: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ن : دار الفكر المعاصر – دمشق، ط:2 ، 1418 هـ، ج27، ص52.

[2] – ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص198.

[3] – ينظر: الغرناطي، **البرهان في ترتيب سور القرآن**، ص172.

[4] – ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص566.

[5] – ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص1-2، **مصاعد النظر**، ج3، ص28.

بعد أن يتهيأ الحس بهذه الإيقاعات لاستقبال ذلك الأمر العظيم إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع"[1]، ثم قال: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الذاريات:11) إشارة إلى مستحقيه.

وذكر الإمام النيسابوري أنه "لما ختم السورة المتقدمة بوقوع اليوم الموعود أقسم على ذلك بالطور وهو الجبل الذي مر ذكره مرارا في قصة موسى"[2].

كما ربط الإمام السيوطي[3]، والإمام الآلوسي[4] بين السورتين فيما يتعلق بالمطلع والمقطع، حيث جاء في مطلع كل من السورتين ذكر أهل الجنة، ففي الأول قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ الذاريات: ١٥، وفي الثاني قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (الطور: ١٧). وجاء في آخر كل منهما ذكر أهل النار، ففي الأول قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا﴾ (الذاريات: ٥٩). وفي الثاني قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا ﴾ (الطور: ٤٧).

وأورد المراغي[5] المناسبة التي ذكرها الإمام الرازي والإمام السيوطي، وأضاف أن السورتين بدأتا بالقسم على الآيات الكونية، ففي الأول أقسم بالرياح، وفي الثاني أقسم بالطور. وأشار أيضا إلى أن في كل منهما تكليف النبي –صلى الله عليه وسلم– بالتبليغ والتذكر، وعدم الالتفات إلى ما يقوله الجاحدون من قول مختلف.

وتابع الغماري[6] الإمام الرازي، و أورد ما يتعلق ببدء السورتين بالقسم.

ونوه الزحيلي –بعد ذكره لما أشار إليه الإمام السيوطي والإمام الآلوسي فيما يتعلق بالابتداء والانتهاء بين السورتين، وفيما أشار إليه المراغي من الابتداء بالقسم– إلى تشابه

---

[1] – سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3393، (نقل بتصرف).

[2]– النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص193.

[3] – ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص119.

[4] – ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص27.

[5] – ينظر: **تفسير المراغي**، ج27، ص27.

[6] – ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص107.

الموضوع بين السورتين "فإن كلتا السورتين مكية، تضمنت الكلام عن التوحيد والبعث وأحوال الآخرة، والرسالة النبوية، وتفنيد معتقدات المشركين الفاسدة"[1].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

اتفق بعض المفسرين كالرازي والغرناطي وصاحب البحر والنيسابوري والبقاعي في وجه التناسب الذي يتعلق بالحديث عن الأمم المكذبة في الأولى وصدق وقوع العذاب في الثانية، وأنه حق لا يدفعه شيء، وهو من أوجه الاتصال الحسنة بين السورتين.

وبعضهم كالسيوطي والآلوسي توسع في ذكر وجوه التناسب حتى شمل المقاطع والمطالع بين السورتين، ببيان أن في مطلع كليهما ذكر لأهل الجنة، وفي آخر كل منهما ذكر لأهل النار، وهذا أيضا وجه حسن للتناسب.

كما لاحظنا أن المراغي بالإضافة إلى ما ذهب إليه الرازي والغرناطي والبقاعي، وإلى ما ذهب إليه السيوطي والآلوسي، إلا أنه تفرد عن الباقين في الإشارة إلى بدء السورتين بالقسم، وهو توجيه حسن يربط المطالع بعضها ببعض.

وذكر الشيخ الغماري وجه التناسب الذي يتعلق بالأمم السابقة مع ذكر وجه بدء السورتين بالقسم، ولم يتعرض لمناسبة المطالع والمقاطع. ونوه الزحيلي –بالإضافة إلى ما أشار إليه السابقون– إلى تشابه موضوعات السورتين وأحسن في ذلك.

هناك وجوه ظهرت لي في التناسب:

١ - أنه ختم السورة السابقة بذكر الويل للكافرين ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ (الذاريات:60)، وفي أول هذه ذكر للويل كذلك ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ (الطور:11).

٢– اشتمالهما على الوعيد.

٣– التشابه في المطلع والمقطع

---

[1] – الزحيلي، **التفسير المنير**، ج27، ص52.

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة النجم وخاتمة سورة الطور

خاتمة سورة الطور:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٧ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور].

فاتحة سورة النجم:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم].

أولًا: التعريف بسورة النجم

مكية، ثنتان وستون آية، نزلت بعد سورة الإخلاص وقبل سورة عبس، وهي الثالثة والعشرون بحسب ترتيب نزول السور، "وهي أوّل سورة أعلن بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وجهر بقراءتها في الحرم، والمشركون يستمعون، وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجنّ والإنس غير أبي لهب، فإنّه رفع حفنة من تراب إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا"[1].

موضوعها في الرسالة والإيمان بالبعث والنشور، وتعالج مسألة الإيمان بالوحي والفرق بين الرسالات السماوية والآلهة التي يبتدعها البشر من عند أنفسهم. ابتدأت بالقسم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وجاء فيها الحديث عن المعراج وما رأى هناك من العجائب والغرائب، ثم جاء الحديث عن الأوثان وبينت بطلانها. كما تحدثت عن عظيم قدرة الله تعالى في الإحياء والإماتة والبعث والإغناء والإفقار وخلق الزوجين الذكر والأنثى، وختمت بذكر الأمم المكذبة وما حل بها من العقاب العاجل في الدنيا قبل الأخرى، محملة بالكثير من العبر بين طياتها.

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

يشير الإمام الرازي إلى تناسب أول سورة النجم بآخر ما قبلها لفظاً ومعنىً، ففي آخر الطور جاء لفظ (النجوم)، وافتتحت هذه بذكر لفظ (النجم) كذلك.

ويسرد وجها آخر وهو أن هذه السورة والتي قبلها مع الصافات جاء القسم فيهم بالأسماء دون الحروف، ففي الطور جاء القسم لإثبات وقوع العذاب، وفي هذه جاء لتأكيد صدق النبي ﷺ، وأنه مرسل من عند الله[2].

---

[1] الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، ت: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:1 - 1418 هـ، ج5، ص321.

[2] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص231.

ويورد الإمام الغرناطي وجه التناسب فيقول: "لما توعد تعالى كفار قريش ومن كان على طريقتهم من سائر من كذب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه سيصيبهم ما أصاب غيرهم من مكذبي الأمم المنبه على ذكرهم في السورة قبل، ثم أشار سبحانه إلى عظيم ما يناهم من الخزي وأليم العذاب بقوله: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (الطور:60) أقسم سبحانه على صحة ذلك ووقوعه والعياذ بالله سبحانه من سخطه وأليم عذابه فقال تعالى: "والطور" إلى قوله: "إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع"[1]. وتابعه في ذلك الإمام أبو حيان[2].

ويذكر الإمام النيسابوري التناسب من حيث التعلق اللفظي الذي أشار الإمام الرازي[3].

ويشير الإمام البقاعي إلى التناسب بشكل أوسع فقد ربط بين عدة سور مظهرا الرباط الناظم بينها كلها بدءً من سورة ق التي فيها الإشارة إلى اتباعه في نذارته ليوم البعث، ثم صدّقت ذلك سورة الذاريات بذكر حتمية وقوعه، وسورة الطور كانت وظيفتها معاينة ذلك الحدث بذكر ما يطرأ فيه للسماء والبحار والجبال، ولما كانت الأخبار التي في تلك السور تعتمد على الوحي والعلم، تبعتها سورة النجم التي من مقاصدها ذم الهوى ومدح العلم، فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾، فهو الصادق الأمين في كل ما أخبرنا به عن رب العزة جل في علاه[4].

ويذكر وجهاً آخر وهو أن في آخر سورة الطور بيان أمر الساعة وقربها، وفي سورة النجم صنف أهلها بحسب ذكرهم من العجب من القرآن، والعمل والبكاء والضحك، إلى طالب علم مهتد فائز، وإلى مُتْبع شهواته خائب[5].

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في ترتيب سور القرآن**، ص173.

[2] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10،ص9.

[3] النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص198.

[4] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص40-41.

[5] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص39-40.

ويوضح الإمام السيوطي أن سورة الطور فيها ذكر ذرية المؤمنين، وسورة النجم فيها ذكر ذرية اليهود في قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (سورة النجم:32) الآية. فلما كان هناك ذكر للمؤمنين جعل الأبناء تبع لآبائهم، قال تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور:21)، وفي سورة النجم عند ذكر ذرية اليهود، قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (سورة النجم:39)[1]، لم يلحقهم بهم، بل أخبر أنه ليس للإنسان إلا ما سعى، و كلٌّ يجازي بعمله.

وقال ابن عجيبة: (ومناسبتها لما قبلها: قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ فأقسم هنا أنه ما ينطق عن الهوى)[2].

وتابع الإمام الآلوسي الإمام السيوطي[3].

وأما الإمام المراغي[4] والزحيلي[5] فقد أوردا كل أوجه المناسبة التي سبقت.

وتابع الشيخ الغماري الإمام الرازي وغيره من المفسرين أنه سبحانه لما أورد قول الكفار في نبيه عليه الصلاة والسلام، جاءت هذه السورة تنفي عنه افتراءاتهم، وتثبت له الوحي والنبوة والرسالة، مخبرا أن كل ذلك يتلقاه من رب العزة جل جلاله عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام. وذكر كذلك التعلق اللفظي الظاهر بين السورتين[6].

---

[1] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص119.

[2] ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ن: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط: 1419هـ، ج5، ص499.

[3] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص44.

[4] ينظر: **تفسير المراغي**، ج27، ص41.

[5] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج27، ص93.

[6] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص108.

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

بعد عرض أقوال المفسرين نجد هنالك وجوها عدة في المناسبة، فإذا أتينا إلى الفاتحة والخاتمة نجد أن المفسرين تكلموا عن المناسبة الظاهرة بين فاتحة وخاتمة السورتين بإيراد لفظ النجم فيهما، وهو ظاهر بين.

وأضاف الإمام الرازي وجه مجيء القسم فيهما بالأسماء وليس بالحروف، وذكر دلالة كل اسم منها وهو حسن.

كما ربط الإمام الغرناطي بين موضوعات السورتين، منتبها إلى وجه تنزيه الله لنبيه ﷺ في أول سورة النجم بعد أن ذكر المستهزئين به والمتقولين عليه في سورة الطور، وتلك من صور التناسب الجلية بين السورتين.

وأظهر الإمام البقاعي الرباط الناظم من سورة ق إلى سورة النجم، وهذا ينبئ عن عمق فهم هذا الإمام في موضوعات السور والإحاطة بها، يتجلى هذا حينما أشار إلى إنذاره ليوم البعث في سورة ق، وصدقت سورة الذاريات ذلك البعث، وعاينت سورة الطور ذلك المشهد، جاءت سورة النجم فأخبرت أن كل ذلك حق لا ريب فيه، وأن ما يبلغه عليه الصلاة والسلام حق لاريب فيه، وأنه لا ينطق عن الهوى، بل هو وحي يوحى، فبان أشد البيان تكامل موضوعات تلك السور بعضها ببعض.

كما ذكر الإمام السيوطي ما يتعلق بذرية المؤمنين وذرية اليهود في السورتين وما يترتب على ذلك من إلحاق الأبناء بالآباء من عدمه، وهذا من حسن الاستنباط.

وجوه المناسبة التي ظهرت لي:

١-أنه ذكر في آخر السورة السابقة (فإنك بأعيننا) أي في حفظنا وحراستنا، وقال في أول هذه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم ٢) فمن دواعي الحفظ الإلهي أن يحميه من الضلالة والغواية والنطق بالهوى.

٢- ختمت السورة بذكر النجوم التي من شأنها هداية الساري إلى سواء السبيل، وبدأت هذه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم إشارةً إلى أنه يهدي إلى شرع الله وصراطه المستقيم.

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة القمر وخاتمة سورة النجم

خاتمة سورة النجم:

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم].

فاتحة سورة القمر:

قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر].

أولًا: التعريف بسورة القمر

هي السورة الرابعة والخمسون بحسب ترتيب المصحف، والسابعة والثلاثون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الطارق، وقبل سورة ص، وهي مكية عند الجمهور.

(ومحتويات السورة الموضوعية واردة في سور مكية شتى. فهي مشهد من مشاهد القيامة في المطلع، ومشهد من هذه المشاهد في الختام. وبينهما عرض سريع لمصارع قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون وملئه، وكلها موضوعات تزخر بها السور المكية في صور شتى)[1]، كما أعلمتهم أن الله محيط بأفعالهم عليم بفعالهم ويجازي كل بحسب عمله. و أعلت السورة من شأن هدي القرآن، وحكمته بتكرار الآية ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، وختمت بالإشارة إلى خلق كل شيء بقدر وبيان قدرته في الإتيان بالساعة وترغيب المؤمنين بالنعيم المقيم[2].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين.

أشار الإمام السمعاني إلى تناسب هذه بسابقتها حين قال: (قوْله تَعَالَى: ﴿اقْتَرَبت السَّاعَة﴾ أَي: دنت الْقِيَامَة، وَهُوَ مثل قَوْله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ (النجم:57))[3].

بين الإمام الرازي تناسب أول سورة القمر مع آخر ما قبلها، ففي آخر النجم قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾(النجم:57) أي اقتربت القيامة، وفي أول هذه ذكر علامة من علاماتها وهي انشقاق القمر، تلك الحادثة المشهورة التي عاينها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وغيرهم[4].

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 3424،

[2] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج27، ص165.

[3] السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، **تفسير القرآن**، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ن: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط:1، 1418هـ- 1997م، ج5، ص306.

[4] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص288.

وقد تابع الإمام الغرناطي والإمام أبو حيان الوجه الذي ذكره الإمام الرازي من أنه سبحانه حين ذكر في آخر النجم أنه إليه المنتهى وأن عليه النشأة الأخرى أشار في أول هذه إلى قرب وقوع يوم الجزاء؛ ذلك اليوم الذي تجد فيه كل نفس ما عملت من خير وشر، ويجازى بحسبه. وذكر توجيهاً آخر وهو أنه إذا رجعنا إلى سورة ص نجد أنها تضمنت من التوبيخ والتقريع للمكذبين بسبب اعتزازهم وشقاقهم، وتكبرهم في قبول الحق وعنادهم، وفيها التهديد بذكر ما حل بالأمم السابقة المكذبة، ثم إن السور التي تعقبت سورة ص انبنت عليها، فلم تخل سورة من السور من ذكر المشركين وتوبيخهم وتقريعهم على تكذيبهم لرسل الله، ترى ذلك جلياً عند التأمل في مطلع سورة ق، والذاريات، والطور، ثم حين انتهى من وعظهم وإرشادهم وتنبيههم بأسلوب يعجز عنه البشر، بدأ في سورة القمر بقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾[1].

وأورد الإمام النيسابوري القول المتقدم عند الإمام الرازي[2].

وتابع الإمام البقاعي الإمام الرازي ولكنه علل المجيء بذكر القمر تحديداً دون غيره؛ لأنه أولاً آية سماوية، والتأثير فيها أدل على الاقتدار من الآيات الأرضية، فهو جرم عظيم وشأنه أكبر، وثانياً لأن لهم فيه منافع، فهو أدل على الأنواء، ومعرفة المشارق والمغارب، علاوة على النور الذي ينتفعون به أحسن الانتفاع. والحقيقة أن الإمام البقاعي تفرد بذكر هاتين النقطتين ولم أجدهما عند غيره في حدود اطلاعي والله أعلم[3].

قال الإمام السيوطي: (لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حُسْن التناسق والتناسب في التسمية؛ لما بين النجم والقمر من الملابسة، ونظيره توالي الشمس والليل والضحى، وقبلها سورة الفجر)[4]. وذكر وجهاً آخر وهو أن سورة القمر فيها تفصيل لأحوال

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في ترتيب سور القرآن**، ص١٧٤-١٧٧، وينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص33.

[2] ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص216.

[3] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص86، **مصاعد النظر**، ج3، ص39-40.

[4] السيوطي، **تناسق الدرر**، ص120.

الأمم التي أشير إلى إهلاكهم في النجم حين قال تعالى ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ..وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ﴾ (النجم:50-53) الآيات، وله نظائر في القرآن كالأعراف بعد الأنعام، والشعراء بعد الفرقان، والصافات بعد يس، فكل هذه السور جاء فيها ذكر الأمم مجملاً في السورة الأولى مفصلاً في السورة الأخرى.

وذكر الإمام الآلوسي ما أشار إليه الإمام السمعاني أن سورة النجم لما ختمت بذكر قرب وقوع القيامة، بقوله ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ﴾(النجم:57) جاء في أول هذه بذكر علامة من علامات قربها وهي انشقاق القمر، ثم أتى بكلام الإمام السيوطي من حسن التناسق والتناسب في التسمية بين السورتين، وذكر أيضاً طريقة عرض الأمم السابقة فيهما بين التفصيل والإجمال[1].

كما جاء الإمام المراغي بجميع الأوجه التي ذكرت عند المفسرين، عدا التفصيل الذي ذكره الإمام البقاعي في علة تحديد القمر بعينه[2].

وذكر الشيخ الغماري -الوجه الذي ذكره عدد من المفسرين قبله- من ذكر قرب القيامة هناك، والتعقيب بعلامة من علاماتها هنا، إلا أنه أضاف مناسبة أخرى لم يسبق إليها أحد -في حدود اطلاعي والله أعلم- و له تعلق في سر تكرار آية:﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ وهو أنه سبحانه لما ذكر في آخر النجم عن الكفار وحالتهم في الإعراض والتلهي عنه، والسخرية والاستهزاء، فيقول: ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ٦٠ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾ أخبر في الثانية بأنه يسر هذا القرآن للتذكر والاتعاظ والاعتبار بما جاء فيه، وهو وجه حسن[3].

---

[1] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص73.

[2] ينظر: **تفسير المراغي**، ج27، ص74.

[3] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص109.

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

نلاحظ مما سبق من أوجه التناسب عند المفسرين أن هنالك وجوهاً في التناسب ظاهرة، كذكر قرب القيامة في آخر سورة النجم بذكر علامة من علاماتها في أول سورة القمر، وهذا الوجه هو محل اتفاق المفسرين من القدامى والمعاصرين.

وهنالك وجوها خفية للتناسب والتي تظهر بعد طول تأمل، كالذي جاء به الإمام الغرناطي في التوجيه الثاني حين لاحظ الأسلوب القرآني البديع في التوبيخ والتقريع للمشركين بدءً من سورة 'ص' إلى سورة القمر والذي انتهى فيه بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴾ (القمر:4) ومقرراً الحكم الإلهية البليغة: ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ (القمر:5).

كذلك اللطيفة التي أشار إليها الإمام البقاعي في علة المجيء بذكر القمر تحديداً دون غيره من الأجرام السماوية، فهي نابعة من التدبر.

وأحسن الإمام السيوطي في ذكر التناسق بين السورتين حين أشار إلى ما يماثله في القرآن في السور كالشمس والليل، والضحى والفجر، وكذلك حين أشار موضوع التفصيل والإجمال في ذكر الأمم بين السور، وذكر على ذلك نظائر من القرآن.

وتفرد الشيخ الغماري بذكر الوجه الذي فيه ورود الإعراض عن القرآن والتلهي عنه هناك، وبيان تيسير الله لهذا الكتاب للمتعظين والمعتبرين به في هذه.

والوجه الذي ظهر لي في المناسبة أنه سبحانه قال في السورة المتقدمة: ﴿هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ﴾ (النجم: ٥٦) والمقصود بالنذير هو النبي صلى الله عليه وسلم، "وخروج النبي صلى الله عليه وسلم كان من علامات الساعة وانشقاق القمر"[1]، وفيه دلالة على صحة نبوته ورسالته الخاتمة، وكذلك دلالة على صدق أمر الساعة وقربها لتلتئم الفاتحة مع الخاتمة في أبهى صورها.

---

[1] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، **بحر العلوم**، د.ط، د.ت، ج3، ص369.

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة الرحمن وخاتمة سورة القمر

خاتمة سورة القمر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ٥٣ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥﴾ [القمر].

فاتحة سورة الرحمن:

قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩﴾ [الرحمن].

أولًا: التعريف بسورة الرحمن

سورة الرحمن من أوائل السور التي نزلت على النبي ﷺ، وهي مكية في قول جمهور الصحابة والتابعين، وروي عن بعضهم أنها مدنية. والأصح أنها مكية، نزلت بعد سورة الفرقان، وقبل سورة الحجر، وتسمى عروس القرآن، وذلك من باب الثناء على هذه السورة، وليس هو من التسمية في شيء. وتعد السورة الثالثة والأربعون في ترتيب النزول، وعدد آياتها عند أهل مكة والمدينة سبع وسبعون، وعند الكوفيين ثمان وسبعون، وعند البصريين ست وسبعون. وتعالج هذه السورة أصول العقيدة الإسلامية، وتتحدث عن آلاء الله العظيمة، ودلائل قدرته الباهرة في كل شيء، ثم تحدثت عن الفناء وذكرت أهوال القيامة وحال الأشقياء يومها، وذكرت الجنة وحال المؤمنين[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

وجه المناسبة عند الإمام الرازي أن آخر السورة المتقدمة جاء فيها قوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(القمر:55)، والاقتدار فيه إشارة إلى الهيبة والعظمة والجلال، وهو عزيز منتقم جبار بالنسبة إلى الكفار والفجار، وبدأت هذه بلفظ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي لطيف بالمؤمنين غفور رحيم[2].

وبين الإمام الغرناطي أن ذكر الأمم السابقة في سورة القمر فيه الرحمة العظيمة المسوقة للمعتبرين بالقرآن؛ لما تحتوي عليه من العبر الكثيرة، والعظات الجليلة لأصحاب العقول، وبذلك ظهرت حجة الله على الخلق، فانتفع المؤمنون، وانقادوا لهذا الكتاب، والاعتبار بما جاء فيه، ولذلك كرر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، وهذا من عظيم ألطافه سبحانه وتعالى عليهم، ولما كان الأمر كذلك بدأ هذه بـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، للتنبيه على النعمة العظيمة عليهم، وخص هذا الاسم من بين الأسماء الحسنى إشعاراً برحمته، وإشارة إلى نعمته، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

---

[1] ينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**،ج27، ص228.

[2] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص335.

وله توجيه آخر وهو أن الخطاب في سورة القمر موجه إلى بني آدم بل مشركي العرب منهم، فأتبعت بسورة الرحمن التي وجه الخطاب فيها إلى الثقلين الإنس والجن. حيث يقول: "إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها وإعذارها خاصاً ببني آدم، بل بمشركي العرب منهم فقط، فأتبعت بسورة الرحمن؛ تنبيها للثقلين وإعذارًا إليهم؛ وتقريراً للجنس على ما أودع الله تعالى في العالم من العجائب والبراهين الساطعة فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ خطابا للجنسين وإعذارا للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان"[1].

وقال الإمام أبو حيان رحمه الله: "ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لما ذكر مقر المتقين في جنات ونهر عند مليك مقتدر، ذكر شيئا من آيات الملك وآثار القدرة، ثم ذكر مقر الفريقين على جهة الإسهاب، إذ كان في آخر السورة ذكره على جهة الاختصار والإيجاز. ولما ذكر قوله: عند مليك مقتدر، فأبرز هاتين الصفتين بصورة التنكير، فكأنه قيل: من المتصف بذلك؟ فقال: ﴿الرحمن﴾".[2]

وذكر الإمام النيسابوري أن سورة القمر بدأت بذكر معجزة تدل على الهيبة والعظمة وهي انشقاق القمر، وافتتحت سورة الرحمن بذكر معجزة تدل على الرحمة والعناية وهي القرآن الكريم. وذكر مناسبة أخرى هناك ما يدل على الانتقام والغضب كقوله ﴿فَذُوقُوا عَذابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر: 39) وقوله ﴿فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر: 21) وذكر في سورة الرحمن بعد تعداد كل نعمة ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ مرة بعد مرة وتذكير النعمة على نعمة[3].

وبين الإمام البقاعي أن سورة القمر ختمت بذكر صفتي الملك والاقتدار وهما من صفات القوة والعظمة والكبرياء، وافتتحت سورة الرحمن بذكر صفة الرحمة العامة الشاملة،

---

[1] الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص180.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص54.

[3] النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج6، ص227، (نقل بتصرف)**.

فالملك القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة، فقصر هذه السورة على تعداد نعمه وآلائه في الدارين[1].

وأوضح الإمام السيوطي أنه سبحانه لما قال في آخر القمر﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (القمر: 46)، تعقب ذلك بوصف حال المجرمين في النار، وكيف أنهم يسحبون فيها على وجوههم، وما يلاقون فيها من الشدة والغلظة والمهانة وسوء العذاب، ثم جاء وصف المتقين، وكيف أنهم يتمتعون في الجنة بأنواع النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، لكن كل ذلك كان على وجه الإجمال، ولذلك جاءت هذه الأوصاف مفصلة في سورة الرحمن تماما على الترتيب الوارد هنا، فبدأً بذكر أمر الساعة، وكيف أنها تأتي على الخلق، وكيف يفنى الخلق كلهم ويكون الملك لله وحده، ثم الحديث عن أهل النار، ووصف حالهم فيها بالتفصيل، وهنا أشار إلى نقطة وهي أنه جاء في الرحمن بلفظ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ في قوله تعالى:﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ﴾ (الرحمن:41) ليتناسب مع ذكر لفظ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ في سورة القمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، ثم وصف أهل الجنة مع تفصيل ما أعد الله لهم من النعيم هناك، وقال فيهم: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن:46) ولم يأت بلفظ آخر كأطاع وآمن؛ ليتناسب مع ما ذكر في سورة القمر من وصفهم بالتقوى، لأن الخوف هو عين التقوى، وبهذا التمام والجمال في التناسق والتناسب تكون هذه السورة هي بيان وتفصيل لآخر السورة التي قبلها[2].

وتابع الإمام الآلوسي الإمام السيوطي فيما ذكر ثم عقب بكلام الإمام أبي حيان ومضمونه: أنه سبحانه ذكر في آخر سورة القمر مقر المجرمين ومقر المتقين على سبيل الإجمال، وذكر معهما بعضاً من آيات الملك والقدرة، فختمت السورة بهاتين الصفتين ﴿مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرٖ﴾ (القمر:55) بصورة التنكير، وكأن أحداً يسأل من المتصف بهاتين الصفتين، فقيل: الرحمن.

وأضاف الإمام الآلوسي وجهاً آخر وهو أنه " لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالأمم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل، وبيّن عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر

---

[1] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص139-140، **مصاعد النظر**، ج3، ص45.

[2] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص120.

لتذكر الناس واتعاظهم ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون نعمه الدينية والدنيوية والأنفسية والآفاقية وأنكر عليهم أثر كل فن منها إخلالهم بمواجب شكرها، وهذا التكرار أحلى من السكر إذ تكرر".[1]

وقد ذكر الإمام المراغي الأقوال كلها فأشار أولًا إلى أن سورة القمر فيها أحوال المجرمين والمتقين على سبيل الإجمال، وفصل في سورة الرحمن مقر كلا الفريقين، ثم أشار إلى تعداد السورة السابقة ما حل بالأمم السابقة من ضروب النقم، مع تعقيب كل ضرب منها بآية في التذكير بأنه تعالى قد يسر هذا الكتاب لتذكر الناس به وإيقاظهم من غفلتهم، ثم في الثانية نعى عليهم إعراضهم بعدد ما أفاض الله عليهم من ضروب النعم الدينية والدنيوية في الآفاق والأنفس، وأنكر على كل واحدة منها إخلالهم بموجب شكرها.

وأخيراً ذكر أنه لما قال في آخر القمر ﴿مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(القمر:55)فكأنه قيل: من هو وماذا أفاد برحمته أهل الأرض؟ فأجيب ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾[2].

وبين الشيخ الغماري أن سورة القمر ختمت بذكر صفتين من صفات المولى هما الملك والقدرة، وافتتحت سورة الرحمن بذكر اسم الرحمن؛ إشارة إلى أن رحمته عمت الدنيا والآخرة، وأن أهل الجنة إنما دخلوها بواسع فضله ورحمته.

وأشار أيضاً إلى نكتة لغوية لطيفة وهي أن الأسماء التي ختمت بها سورة القمر هي صيغ تكثير، فمليك معناه واسع الملك، ومقتدر أي واسع القدرة، والرحمن واسع الرحمة، وفيه إشارة إلى أن نعيم الجنة دائم لا يزول ولا يفنى؛ لأن مصدره من اتصف بتلك الصفات العظيمة.

---

[1] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص96-97.

[2] ينظر: **تفسير المراغي**، ج27، ص104.

وأشار كذلك إلى أن ذكر المتقين وما يلقونه يوم الدين في سورة القمر على وجه الإجمال، وسورة الرحمن فصلت ما يلقاه المتقون في الجنان من النعيم المقيم الذي أعد الله لهم، ولا يختص ذلك بالمتقين من الإنس، بل يشمل المتقين من الجن[1].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال عرض أقوال المفسرين ودراستها، نلاحظ أن من المفسرين من اكتفى بذكر مناسبة واحدة بالربط بين صفتي الملك والقدرة اللتين في آخر سورة القمر، إشارة إلى أنه العزيز المنتقم الجبار بالنسبة للكافرين، وبدأ بصفة الرحمن في الثانية إشارةً إلى اللطف والرحمة بالمؤمنين، وهو تناسب مباشر بين السورتين.

كما لاحظنا أن الإمام الغرناطي ذكر وجهين للتناسب، وهما يختلفان عما أشار إليه الإمام الرازي، وهو أن ذكر الأمم السابقة فيه من العظة والاعتبار والرحمة العظيمة المسوقة للمعتبرين بهذا الكتاب، وبدأت هذه بلفظ الرحمن، وبذلك اتصلت موضوعات السورة المتقدمة بفاتحة سورة الرحمن.

والوجه الثاني هو ما يتعلق بتوجيه الخطاب في السورتين، ففي الأول خطاب لمشركي العرب، وفي الثاني خطاب للثقلين، وهو وجه آخر للتناسب يظهر عند التأمل، وهذا له تعلق بطبيعة الموضوعات، فموضوع سورة القمر يتناسب معه خطاب مشركي العرب، ويدخل فيه كل مشرك بعدهم، أما موضوع سورة الرحمن فيتعلق بتعداد النعم والآلاء، وهذا يتناسب معه خطاب الثقلين جميعاً، لتتجلى منة الله العظيمة عليهم.

وقد ذكر الإمام أبو حيان قولاً حسناً في مناسبة السورتين ببيان مقر المتقين هناك، وذكر مقر الفريقين هنا على جهة الإسهاب.

وأحسن الإمام النيسابوري في بيان تغليب أسلوب العظمة في السورة المتقدمة، وأسلوب الرحمة في هذه.

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص110-111.

وافق الإمام البقاعي الإمام الرازي في حديثه عن المناسبة بين الفاتحة والخاتمة، إلا أن الإمام الرازي تحدث عن آثار تلك الصفات الإلهية، فجاء بذكر صفة الرحمة مع المؤمنين، وصفة القدرة مع المجرمين، وأما الإمام البقاعي فإن حديثه يأتي في تكامل الصفات الإلهية مع بعضها البعض، فذكر أن ملك الملك لا يكتمل إلا بتوفر هذه الصفات كلها معاً، وهو لون آخر في التناسب يحتمله السياق.

وقد وافق وجه الإمام السيوطي الوجه الذي ذكره الإمام أبو حيان عن مجيء عاقبة الفريقين بشكل مجمل في سورة القمر، ومفصل في سورة الرحمن، كعادة القرآن في كثير من السور، وهو وجه دقيق من وجوه المناسبة بين السورتين.

وأما الإمام الآلوسي فبالإضافة إلى ما ذكره الإمامان أبو حيان والسيوطي، أشار إلى سر تعداد آيتي ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾، ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في السورتين، ففي الأولى ذكر للأمم السابقة، وهذا يناسبه تيسير الله لهذا الكتاب للانتفاع والاتعاظ به، وفي الثانية نعيهم على إعراضهم عن تلك النعم المبهرة، فالآية المكررة في كل سورة تتناسب مع موضوعاتها، وهذا وجه للتناسب دقيق يظهر للمتأمل في موضوع السورتين.

كما وجدنا أن المتأخرين يتميزون بحسن جمع الأقوال وعرضها مع تبسيطها، كالمراغي حيث أشار إلى وجه الإمام أبي حيان فيما يتعلق بالإجمال والتفصيل في جزاء المتقين والكافرين بين السورتين، وذكر كذلك ما يتعلق بتيسير الله لهذا الكتاب للعظة والاعتبار وذلك بتكرار آية التيسير في سورة القمر، وآية النعي على إعراضهم في سورة الرحمن، وشرح تقدير الكلام بين السورتين بالاستناد إلى الفاتحة والخاتمة وكلها مناسبات ظاهرة.

وقد جاء الوجه الذي ذكره الشيخ الغماري مناسباً مع علة بدء سورة الرحمن بـ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ (الرحمن:1)؛ لما تتضمنه من الدلالة على عموم رحمته سبحانه على الأنام وعلى المؤمنين خاصة في استحقاقهم الجنة، كما نوه إلى وجه التفصيل والإجمال بين السورتين؛ وأضاف لفتة لغوية جميلة وهي الصفات الواردة في الخاتمة والفاتحة هي بصيغ التكثير، وأن هذه الصفات لا تزول لاتصالها بمن هو دائم سبحانه، وهي لفتة لطيفة.

وظهر لي وجهان في المناسبة:

1- أنه ختم السورة السابقة بذكر صفتين من صفاته الجليلة وهما الملك والقدرة، وبدأ سورة الرحمن باسم من أسمائه سبحانه وهو الرحمن؛ ليتلائم مع ما ذكره سبحانه فيها من نعمه وآلائه.

2- أنه ختم السورة السابقة بذكر صفتي الملك والقدرة، واشتملت هذه السورة على تعداد نعمه العظيمة، فقدَّم أجلّ النعم وأكثرها نفعاً وأعظمها فائدةً وهي نعمة تعليم القرآن الذي هو رأس الأمر كله ومدار سعادة الدارين، ثم امتنَّ بعد هذه النعمة بنعمة الخلق التي هي مرجع كل الأمور ومناط جميع الأشياء، ثم بتعليمه البيان الذي يكون به التخاطب والتفاهم وتتوقف عليه مصالح العباد والمعاش، ووجه الاتصال أن هذه النعم التي يتوقف عليها مدار سعادة البشرية لا تكون إلا من ملك عزيز ذو قدرة مطلقة وهو رب العزة سبحانه.

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة الواقعة وخاتمة سورة الرحمن

خاتمة سورة الرحمن:

قال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن].

فاتحة سورة الواقعة:

قال الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة].

أولًا: التعريف بسورة الواقعة

سورة مكية، وقيل فيها آيات مدنية وهو ضعيف، وتعد السادسة والأربعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة طه وقبل سورة الشعراء. والواقعة من أسماء القيامة كالطامة والصاخة والآزفة والقارعة. آياتها في العد المدني تسعا وتسعين، وهي سورة جامعة في التذكير. من أغراضها التذكير بيوم الوعيد، ووصف أحوال العالم يومها، ووصف الجنة ونعيمها، ووصف النار وعذابها، وإثبات البعث والحشر والنشور، والإشارة إلى دلائل قدرة الله تعالى، والتأكيد على نزول القرآن من عند الله تعالى.[1]

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

ذكر الإمام الرازي أن أول سورة الواقعة يتناسب مع آخر سورة الرحمن لأن في آخرها إشارة إلى صفات الله تعالى من باب النفي والإثبات، وفي أول هذه السورة الحديث عن القيامة وما فيها من العقوبات والمثوبات، وكل هذه الصفات تدل على علو اسمه سبحانه، وعظمة الباري تعالى، وكمال قدرته وجلال هيبته.

وذكر وجها آخر في المناسبة وهو أن سورة الرحمن فيها إظهار الرحمة، وسورة الواقعة فيها إظهار الهيبة، على عكس سورة الرحمن مع سورة القمر.

كما أورد مناسبة أخرى وهي أن سورة الرحمن فيها التنبيه بذكر الآلاء والنعم، وسورة الواقعة بمثابة ذكر الجزاء لهم يوم القيامة. وأيضاً الأولى اشتملت على تعداد النعم على الإنسان ومطالبته بالشكر والحمد وعدم التكفير والتكذيب بها[2].

---

[1] ينظر، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1 - 1422 هـ، ج5،ص238. **وينظر كذلك**، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج27، ص280. وينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ن: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، س.ن: 1415هـ - 1995م، ج7، ص508.

[2] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص384.

وبين الإمام الغرناطي أنه عندما تقدم الإعذار في السورتين المتقدمتين –النجم والقمر– وأعلم في آخر سورة القمر أن كل شيء خلقه الله تعالى فبقدر وميزان دقيق، وكل شيء في العالم واقع بقضائه سبحانه، وعلمه ومحض إرادته، جاءت سورة الواقعة لبيان أحوالهم الأخروية، بعد أن جردت السورتان السابقتان أحوالهم في الدنيا، وفي سورة الواقعة بين أحوالهم في الأخرى ولذا قال: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ (الواقعة:56) أي هذا حالهم وجزاؤهم يوم القيامة، ثم جاء تقسيمهم على حسب أعمالهم فقال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ (الواقعة:88) إلى آخر السورة[1].

وقال صاحب البحر:"ومناسبتها لما قبلها تضمن العذاب للمجرمين، والنعيم للمؤمنين. وفاضل بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض بقوله: ومن دونهما جنتان، فانقسم العالم بذلك إلى كافر ومؤمن مفضول ومؤمن فاضل وهكذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة، وأصحاب مشأمة، وسباق وهم المقربون، وأصحاب اليمين والمكذبون المختتم بهم آخر هذه السورة"[2].

ووضح الإمام البقاعي أن مقصود سورة الواقعة هي شرح أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة في سورة الرحمن من السابقين واللاحقين والمجرمين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار الذي دل عليه آخر الرحمن بإثبات الجلال والكمال، ودل عليه آخر الواقعة بالتنزيه بالنفي لكل نقص، وإثبات العظمة من الجلال والجمال[3].

وذكر أيضاً أنه لما صنف الناس في سورة الرحمن إلى ثلاثة أصناف مجرمين وسابقين ولاحقين وختمها بعلة هذا التقسيم وهو أنه سبحانه ذو الانتقام والإكرام، جاء في هذه السورة فبين أحوالهم، وبين الوقت الذي يظهر فيه إكرامه وانتقامه،﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي التي لابد من وقوعها.

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان**، ص181.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص75.

[3] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص195-196، **مصاعد النظر**، ج3، ص52.

ومن باب الزيادة أذكر المناسبة التي أوردها بين السور الثلاثة (الواقعة والرحمن والقمر) بأنه لا توجد في واحدة منها اسم الله الأعظم الجامع، على عكس سورة المجادلة التي اختصت بذكر لفظ الجلالة (الله) في كل آية من آياتها[1].

وأظهر الإمام السيوطي وجه تناسب هذه السورة مع سابقتها بأن في كل منهما وصف القيامة والجنة والنار، تجد ذلك في اتصال قوله تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ بـ ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾، وهنا نلاحظ أنه اقتصر في سورة الرحمن على انشقاق السماء ولا ذكر للأرض هناك، وهنا قال :﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ (الواقعة:4)، ولا ذكر للسماء هنا، فالسورتان يكملان بعضهما البعض على صورة تقابل فذكر في أول هذه ما جاء في آخر تلك، وفي آخر هذه ما جاء في أول تلك، فبدأ في الرحمن بذكر القرآن، ثم الشمس والقمر ثم النبات ثم خلق الإنسان والجان، ثم صفة القيامة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنة، أما الواقعة فابتدأت بذكر القيامة أولاً، ثم صفة الجنة، ثم صفة النار، ثم خلق الإنسان، ثم النبات، ثم الماء، ثم النار، ثم ذكر النجوم ولم يذكرها في الرحمن، كما لم يذكر هنا الشمس والقمر، ثم ذكر القرآن، فكانت هذه السورة مقابلة لتلك وكرد العجز على الصدر[2].

وأشار الإمام الآلوسي إلى تواخي هذه السورة مع سورة الرحمن، ثم أورد الوجه الذي ذكره صاحب البحر.

وأضاف وجهاً آخر وهو حديث انشقاق السماء في الرحمن على غرار حديث رج الأرض في الواقعة، ثم ذكر المتقابلات بين السورتين كما فعل الإمام السيوطي[3].

وأورد الإمام المراغي ثلاثة أوجه للمناسبة وهي مجيء وصف القيامة والجنة والنار فيهما، وأنه ذكر في الأولى عذاب المجرمين ونعيم المتقين وفاضل بين جنتي بعض المؤمنين مع البعض الآخر منهم، وبذلك انقسم المكلفون إلى أصحاب ميمنة، وأصحاب مشأمة، والسابقين.

---

[1] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص53.

[2] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص121.

[3] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص128.

وأيضا جاء في الأولى ذكر انشقاق القمر، وهنا جاء ذكر رج الأرض، ثم أشار إلى التقابل الذي بين السورتين في دلائل قدرته في خلقه سبحانه[1].

ورأى الشيخ الغماري أن سورة الرحمن لما كان الحديث فيها عن نعيم أهل الجنة بإسهاب، كان المناسب في هذه أن يقسم الخلق إلى ثلاثة أقسام: السابقون وهم المقربون، وأصحاب اليمين وهم أهل الجنة، وأصحاب المشأمة أي أصحاب الشمال أي الضالون المكذبون وهم أهل النار المعبر عنهم بالمجرمين في السورة السابقة، وبذلك تكون السورتان قد استوفيا أنواع المنعمين والمعذبين[2].

وختاماً أحب أن أضيف ما ذكره سيد قطب رحمه الله في مناسبة أول سورة الواقعة بخاتمتها، فقال: "فتلتقي رجاحة اليقين وثقله في ميزان الحق، بالواقعة التي بدأت بها السورة . وتختم بما يوحيه هذا اليقين الثابت الجازم من اتجاه إلى الله بالتسبيح والتعظيم"[3].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

نلاحظ مما سبق من أقوال المفسرين أن وجوه المناسبة بين السورتين كثيرة، فقد أشار الإمام الرازي إلى التناسب من جهة صفات الله تعالى التي ذكرت في آخر سورة الرحمن، ثم كان الحديث عن القيامة وما فيها من الأحداث، وكل ذلك إنما دل على عظم شأن المولى سبحانه، وقدرته التي تفوق كل الحدود، وهو توجيه حسن.

وأبدع أيضاً في ذكر أن هذه السورة فيها إظهار الهيبة، والسورة السابقة فيها إظهار الرحمة، فالتناسب في توالي السورتين واضح جلي، وأن الإنسان لا يخلو حاله من الخوف والرجاء، وكلاهما مطلوب في الترغيب والترهيب. أيضاً يتجلى التناسب عنده بين موضوعات السورتين، فالأول فيه تعداد النعم، والثاني فيه ذكر الجزاء لهم يوم القيامة.

---

[1] ينظر: **تفسير المراغي**، ج27، ص130.

[2] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص112.

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3473.

وساق الإمام الغرناطي دراً أخرى في وجوه التناسب فبين أن الأولى ذكرت أحوالهم الدنيوية بين حامد شاكر ومنكر كاذب، والثانية ذكرت أحوالهم الأخروية، وبيان جزائهم يومئذ، والتقسيم على حسب أعمالهم.

وأبدى الإمام أبو حيان وجهاً حسناً حين قسم الناس في الرحمن إلى كافر ومؤمن فاضل ومؤمن مفضول، ذكر في هذه أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون المقربون.

وقد بين الإمام البقاعي التناسب من خلال تقسيم الناس في سورة الرحمن إلى ثلاثة أقسام: المجرمون والسابقون واللاحقون، وسورة الواقعة جاءت في شرح أحوالهم الأخروية.

وقد اشتمل الوجه الذي أورده الإمام السيوطي على الأمور التي اشتركت في الوصف بين السورتين كالقيامة، والجنة والنار، ثم يصل فيها إلى المقابلة العجيبة بين السورتين والتقديم والتأخير الحاصل بينهما على أكمل وأدق الوجوه، من ذلك التفطن إلى ذكر السماء في الرحمن، والأرض في الواقعة، وكذلك المقابلة بين وصف القيامة والجنة والنار وحديث القرآن، فيكون السيوطي من أفضل من أظهر جماليات التناسب بين السورتين بأسلوب سلس، ولغة سهلة واضحة، ولذا ترى من جاء بعده لم يستغن عن الاستشهاد بكلامه عند الحديث عن التناسب كأمثال الآلوسي والمراغي والغماري وغيرهم من المفسرين.

كما أشار الإمام الآلوسي إلى المناسبة أخذاً من صاحب البحر، وهو تقسيم المكلفين في الواقعة إلى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون بحسب ما ذكروا في سورة الرحمن من المجرمين والتفاضل بين جنتي المؤمنين، وهذا من أجمل صور التناسب بين السورتين.

وأما الشيخ الغماري فقد اكتفى بذكر وجه المناسبة الذي يشير إلى تقسيم الناس بين السورتين بين منعمين ومعذبين، ولم يتطرق إلى المتقابلات التي في السورتين.

وقد ظهر لي في المناسبة وجه وانطلاقاً من اللطيفة التي أوردها الإمام الآلوسي لبعض أهل الله أن في سورة الرحمن تكررت الآية ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها عقيب تعداد عجائب خلقه وذكر المبدأ والمعاد، وسبعة عقيب ذكر النار وأهوالها على عدد أبواب النار، وثمانية عقيب ذكر الجنة الأولى على عدد أبواب الجنة، ومثلها عقيب ذكر الجنة الثانية، فكأنه أشير بذلك إلى أن من اعتقد وعمل بموجب الثمانية الأولى وقاه الله

من عذاب جهنم، واستحق كلتا الجنتين بفضله ومنه سبحانه[1]، ثم أتبعها بالواقعة وذكر فيها أمر القيامة، إشارة إلى قرب وقوعها وأنه يقضى أمره فيها برفع أصحاب الجنة إلى العليين وخفض أصحاب النار إلى الأسفلين.

[1] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص126.

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة الحديد وخاتمة سورة الواقعة

خاتمة سورة الواقعة:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة].

فاتحة سورة الحديد:

قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴿٣﴾﴾ [الحديد].

أولًا: التعريف بسورة الحديد

هناك خلاف في مكية السورة ومدنيتها، فالجمهور على أنها مدنية، وقيل إن صدرها مكي والباقي مدني، وهي السورة الخامسة والتسعون في ترتيب النزول على قول الجمهور، نزلت بعد سورة الزلزلة وقبل سورة التوبة، وعدد آياتها ثمانٌ وعشرون في العد المدني، وتسعٌ وعشرون في العد الكوفي والبصري.

اشتملت السورة على أغراض عدة من التذكير بجلال الله وصفاته، وسعة قدرته، وعموم تصرفه، وسعة علمه، ووجوب وجوده، والأمر بالإيمان به وبرسوله، وبما جاء به من عند ربه، وكذلك التنويه بما في القرآن من سبل النجاة والهدى والتذكير برحمة الله بخلقه، والحمد على الإنفاق في سبيله، وأن المال زائل يفنى، وما عند الله من الأجر والثواب خير وأبقى، والإشارة إلى ما أعد الله للمؤمنين والمؤمنات يوم القيامة، وكذلك للنافقين من سوء العذاب، وتحذر المسلمين من قساوة القلوب، وقلة الاكتراث بالحياة الدنيا والأمر بالصبر، وبيان فضل الجهاد إلى غير ذلك من الأغراض الجليلة[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

قال الإمام الرازي في مناسبة الفاتحة بالخاتمة " ويحتمل أن يكون المراد فسبح واذكر ربك باسمه الأعظم، وهذا متصل بما بعده؛ لأنه قال في السورة التي تلي هذه: ﴿سبح لله ما في السماوات﴾ (الحديد: ١) فكأنه قال: سبح الله ما في السماوات، فعليك أن توافقهم ولا تلتفت إلى الشرذمة القليلة الضالة، فإن كل شيء معك يسبح الله عز وجل"[2].

يرى الإمام الغرناطي أن قوله سبحانه: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾(الواقعة:57) فيه من التوبيخ والتقريع والزجر لأولئك الجهال الذين ينكرون البعث، ثم أتبع ذلك بعدة آيات بدءًا من قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ (الواقعة:58) دعا فيها المكذبين وأهل الزيغ والإلحاد إلى التأمل في عدة أمور منها: النسل وكيف أنه أوجدهم من النطفة، وهذا الأمر ليس في مقدور

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج27، ص355-356، (نقل بتصرف يسير).

[2] الرازي، **التفسير الكبير**، ج29، ص440.

أحد إلا الله، وكذلك أمر إماتة الأحياء، فإن الذي خلق الأحياء قادر على إعادتهم بعد موتهم، وهذا أهون وأيسر من الخلق الأول. ثم ساق أدلة أخرى على إمكان البعث، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ (الواقعة:63) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾(الواقعة:68) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ (الواقعة:71) إلى أن قال:﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ (الواقعة:73)، فنذروا على سوء جهلهم، ووبخوا على قبح ضلالهم، ثم جاء بعد ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ (الواقعة:81)، واستمر التوبيخ إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (الواقعة:87)، ولما حوت هذه الآيات على قبائح مرتكباتهم وسوء فعالهم أعقب بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾(الواقعة:96)؛ تنزيها عن ضلالهم وسوء معتقداتهم، ثم قال في أول الحديد ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ....﴾ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ مبيناً سبحانه انفراده التام بصفات الجلال ونعوت الكمال، وأنه المنفرد بالملك والحمد، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، إلى أن قال: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (الحديد:6)، فهذه الآيات هي بمثابة الرد على الذين أشير إليهم في الواقعة، وقطع ضلالهم، وتعريفهم بأسماء الله وصفاته، وبذلك التحمت السورتان واتصلت المعاني بعضها ببعض[1].

وقال صاحب البحر: "ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة، لأنه تعالى أمر بالتسبيح، ثم أخبر أن التسبيح المأمور به قد فعله والتزمه كل من في السموات والأرض، وأتى سبح بلفظ الماضي، ويسبح بلفظ المضارع، وكله يدل على الديمومة والاستمرار، وإن ذلك ديدن من في السموات والأرض"[2].

وقد بين الإمام البقاعي أن مقصود سورة الواقعة هو بيان عموم الرسالة الإلهية بالبعث إلى الأصناف الثلاثة المذكورين في السورتين السابقتين من الثقلين، وتحقيقاً لتنزيه الله تعالى عن كل نقص بعد أن تحدثت التي قبلها عن منكري البعث، وجاء في خاتمتها الأمر بتنزيه الله عن

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص181.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص100.

هذا النقص، فبدأ هذه ب ﴿سَبَّحَ﴾ كالتعليل لآخر الواقعة تعظيماً له سبحانه، وإذعاناً لطاعته، وإقراراً بربوبيته[1]. ثم ساق كلام الإمام ابن الزبير الغرناطي من غير أن يشير إلى اسمه.

وأشار الإمام السيوطي إلى المناسبة بين الفاتحة والخاتمة من ورود التسبيح والأمر به، مضيفاً أن تمام المعنى في هذا هو أن أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به، فكأن التقدير: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾(الواقعة:96) لأنه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الحديد:1)[2].

وتابعه الإمام الآلوسي[3].

وذكر الإمام المراغي ما أورده الإمامان أبو حيان والسيوطي من وجه التعلق اللفظي الظاهر بين السورتين[4].

وأما الشيخ الغماري فإنه بالإضافة إلى ذكره للتعلق اللفظي، أضاف أن سورة الواقعة ذكرت أنواع الخلق يوم القيامة، وقسمت أهل الجنة إلى قسمين :أصحاب الميمنة والمقربين، بينما اكتفت بذكر نوع واحد من أهل النار وهم أصحاب المشأمة المكذبون الضالون، فضمت هذه السورة نوعاً آخر كان الناس في الدنيا يحسبونهم مؤمنين؛ لأنهم كانوا يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر وهم المنافقون، تأمل الآيات من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ..﴾ إلى ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[5].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال ما سبق من كلام المفسرين نجد أنهم مجمعون على ذكر وجه التعلق اللفظي الظاهر بين السورتين، من ورود الأمر بالتسبيح في آخر الواقعة، وبدء هذه بالتسبيح تعليلا لآخر ما قبلها وهذا من تمام المناسبة.

---

[1] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص250-251، **مصاعد النظر**، ج3، ص59.

[2] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص121-122.

[3] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص164.

[4] ينظر: **تفسير المراغي**، ج27، ص157.

[5] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص113-114.

وأضيف هنا أن هناك إشارة ضمنية للمخاطبين بإخبارهم أن المخلوقات كلها من حولهم تسبح بحمد الله، وتعظمه، وتمجده، وتنزهه من كل عيب أو نقص، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء:44)، فكأنه يريد أن يقول لما كان هذا حال كل شيء من حولكم، أليس من الأحرى أن يكون هذا حالكم وديدنكم أيضا!! وفيه دعوة إلى كثرة تسبيحه سبحانه وذكره في كل وقت وحين.

وأورد مفسرون آخرون مناسبات أخرى كالإمام البقاعي الذي أشار إلى أن سورة الحديد فيها بيان عموم الرسالة للأصناف الثلاثة المذكورين في سورة الواقعة ومن قبله سورة الرحمن، وهذه لفتة لطيفة. وقد أبدع الشيخ الغماري في إيجاد مناسبة جديدة –لم أقف عليها عند المتقدمين في حدود اطلاعي والله أعلم– وهي أن سورة الواقعة فيها تقسيم أهل الجنة إلى قسمين أصحاب الميمنة والسابقين بينما اكتفى بذكر نوع واحد من أهل النار وهم أصحاب المشأمة المكذبون الضالون، فتضمنت سورة الحديد نوعاً آخر من أصحاب المشأمة وهم المنافقون، وهو وجه للتناسب.

ووقفت على وجه في المناسبة:

١– أن في خاتمة سورة الواقعة أمْرٌ بالتسبيح، وفي أول سورة الحديد بيان أن كل شيء يسبح له، وهذا فيه تأكيد على حقيقة واحدة وهي أن الذي أمره بالتسبيح هو وحده المتصرف في هذا الكون فجاء بطائفة من أسمائه الحسنى لإثبات هذا المعنى، أعقب ذلك بذكر خلق السموات والأرض والليل والنهار للتأكيد على هذا الغرض.

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة المجادلة وخاتمة سورة الحديد

خاتمة سورة الحديد:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الحديد].

فاتحة سورة المجادلة:

قال الله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢﴾ [المجادلة].

أولًا: التعريف بسورة المجادلة

وهي السـورة المائة وثلاث في ترتيب نزول سـور القرآن، نزلت بعد سـورة المنافقون وقبل سـورة التحريم، وهناك قول بأنها نزلت قبل سـورة الأحزاب، وهذا الذي يرجحه الطاهر ابن عاشـور. وهي مدنية، وفي رواية عن عطاء أن العشـر الأول منها مدني والباقي مكي. وقال الكلبي: مدنية كلها إلا آية ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ﴾(المجادلة:7)نزلت بمكة. وآيها في العد المدني إحدى وعشرين، وفي العد البصري والكوفي اثنتان وعشرون. من أغراضها الحكم في قضـية مظاهرة أوس بن الصـامت من زوجه خولة بنت ثعلبة، وقال بعضـهم:خُوَيلة بنت ثعلبة، وقال آخرون: خويلة بنت خويلد. وقال غيرهم:خويلة بنت الصـامت. وقال بعضـهم: خويلة ابنة الدليج. وإبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها، وكذلك الإعلام بإيقاع البأس الشـديد الذي أشـارت إليه سـورة الحديد، وأن علم الله تعالى لا يحيطه شـيء ويعلم السـر والنجوى والوعيد لمن يتناجى بالمعصـية والعدوان، وكذلك بيان ضـلالات المنافقين ومناجاتهم بمرأى المؤمنين، وموالاتهم لليهود، وحلفهم على الكذب، وفيها أيضاً بيان آداب مجلس النبي صـلى الله عليه وسـلم، وبيان أن الغلبة لله ورسـوله، وترك مودة من يحادون الله ورسوله ولو كانوا من أقاربهم[1].

---

[1] ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ت: أحمد محمد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420 هـ - 2000 م، ج23، ص219. وينظر كذلك: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ن: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط:1 - 1414 هـ، ج5، ص217. وينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه عبد الحي الفرماوي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:1 1415 هـ - 1994م، ج4، ص258. وينظر أيضا: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج28،ص6.

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

ذكر الإمام الغرناطي مناسبة هذه السورة للتي قبلها أنه سبحانه لما بين حال مشركي العرب وقبح عنادهم، وسوء فعالهم، وجاء توبيخهم وتقريعهم على ذلك من أول سورة ص إلى سورة القمر –كما ذكر ذلك سابقاً في سورة القمر– الذي قطع فيها دابرهم وكذا في سورة الرحمن، أعقب ذلك بسورة الواقعة التي فيها بيان منازلهم الأخروية، وأحوالهم يومها زيادة في التوبيخ والتقريع والتي استدعت تسبيح الله تعالى من شنيع افتراءاتهم في أول سورة الحديد فبدأ بقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(الحديد:1)، وفيها وُجه الخطاب إلى المؤمنين في قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(الحديد:7) واستمر ذلك الى آخر السورة، ثم أتت بعدها سورة المجادلة مستمرة على هذا القصد بحادثة يتشوق المؤمنون إلى معرفتها وهو الظهار، وهذا امتداد للخطاب الذي جاء للمؤمنين في سورة الحديد في قوله :﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾(الحديد:7)، فصرف الكلام إلى ما يخص المؤمنين من أحكامهم وتعريفهم بها وهذا شأن معظم آي السور بعدها[1].

أما الإمام البقاعي فيرى أن مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد التي أشارت إليه سورة الحديد بمن حاد الله ورسوله لما له سبحانه من تمام العلم، وكمال القدرة، والإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها. ودلت على ذلك أيضاً تكرير الاسم الأعظم في كل آية من آياتها[2].

وأورد مناسبة أخرى وهي أن سورة الحديد ختمت ببيان عجز الخلق، وإثبات الفضل العظيم لله وحده، وأنه سماعه لجميع الخلائق واحد، لا يشغله سماع عن سماع، ولا صوت عن صوت، وأن ابتداع بعض الرهبانية بما لم يأذن لهم رب العزة فيه كان سبباً للتضييع، فجعلوا الظهار على نوعين مؤقت ومطلق، والأول كان من الرهبانية لما فيه من تحريم ما أحل الله، فكان بعض الصحابة قد منع نفسه بالمؤقت في نهار رمضان؛ حرصاً منهم على كمال التعبد، وعدم الجماع في نهار رمضان، وبعضهم قد ظاهر مطلقاً فشكت امرأته إلى النبي –صلى الله

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص182.

[2] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص331، **مصاعد النظر**، ج3، ص68.

عليه وسلم- بما لحق بها من ضرر، وهتفت باسم الله، فعلم سبحانه شكايتها، وأزال ضررها بحكم عام لها ولغيرها حتى صارت واقعتها رخصة عامة للمسلمين إلى يوم القيامة، معلماً عباده بأنه سبحانه ذو فضل عظيم، وأنه الأول والآخر والظاهر والباطن، وكان قد أمر بالإيمان به وبرسوله، وليعلم أهل الكتاب ما لهذه الأمة من ميزة وكرامة في تخفيف الشدائد التي وقعت من بعضهم، وأنه يختص برحمته من يشاء، فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ (المجادلة:1)، أي أجاب بعظيم فضله من اتصف بجميع صفات الكمال سبحانه[1].

وبين الإمام السيوطي أن سورة الحديد لما افتتحت بذكر الصفات الجليلة للمولى سبحانه كالأول والآخر والظاهر والباطن، ثم قال: ﴿.. وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(الحديد:4)، افتتحت هذه بذكر أنه سمع قول المجادلة التي شكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها- حين نزلت "سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، إني لفي ناحية البيت لا أعرف ما تقول[2]". ثم جاءت آية التناجي وهي تفصيل للإجمال الذي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(الحديد:4)، وبذلك تتضح الحكمة في الفصل بها بين الحديد والحشر مع تآخيهما في الافتتاح بـ ﴿سَبَّحَ﴾[3].

وأورد الإمام الآلوسي كلام الإمام السيوطي بتمامه[4].

كما ذكر الإمام المراغي مناسبتين مباشرتين، الأولى: أن سورة الحديد ختمت بفضل الله وأن الفضل بيده وحده، وافتتحت هذه بما هو من هذا الوادي. والثانية: أن الأولى جاء في مطلعها ذكر الصفات الجليلة للمولى سبحانه منها الظاهر والباطن، وذكر في مطلع هذه أنه سمع قول المجادلة التي شكت إلى الله تعالى[5].

---

[1] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص332.

[2] أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (وكان الله سميعاً بصيراً)، ج9، ص117.

[3] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص122.

[4] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص197.

[5] ينظر: **تفسير المراغي**، ج28، ص3.

وأما الشيخ الغماري فأشار إلى مناسبتها لما قبلها من وجه آخر وهو أنه تعالى لما ذكر في الأولى وعيد المنافقين بدخول النار بسبب إظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر وتربصهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الدوائر، قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾(الحديد:14)الآية. وذكر في المجادلة نوعا آخر من الكفر وجبت لهم به النار، وهو موالاتهم لليهود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾(المجادلة:14) المقصود في الآية هم اليهود.

ويسرد الشيخ الغماري مناسبة أخرى أن الله تعالى وجه الخطاب في السورة السابقة لأهل الكتاب يأمرهم بالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(الحديد:28) أي بموسى وعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾(الحديد:28) أي بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾(الحديد:28) بسبب إيمانكم به، وتصديقكم بكتابه وبكتابكم، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾(الحديد:28) أي يوم القيامة كما جعله للمؤمنين من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- كما أخبر في الآية ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد:28)، تعريضاً وإشارة إلى ما عليه اليهود من إيذاء النبي والمؤمنين، وهو ضد ما أمروا به من الإيمان، ويقولون لو كان هذا نبياً حقاً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن، ولأوشك أن يعجل بعقوبتنا وهلاكنا، فجاء الوعيد بعده بقوله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ﴾(المجادلة:8)، وفي الآية التي إشارة إلى أن إيمانهم غير متوقع؛ لأنهم غارقون في الكفر مع شدة الحقد والعداوة للنبي والمؤمنين، ويسعون في إيذائهم، وتلك مناسبة بين السورتين ظاهرة[1].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال ما سبق نلاحظ أن الوجه الأساسي للمناسبة عند الإمام الغرناطي هو الخطاب الذي وجه للمؤمنين في سورة الحديد بقوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(الحديد:7)،

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص115-116.

وجاءت المجادلة بحادثة الظهار وما يخصهم من الأحكام وتعرفهم بها، فتبين أنها امتداد للخطاب الذي جاء لهم في الحديد، وهو وجه حسن، لكن العجيب أن هناك أوجها للمناسبة لم يذكرها ولم يشر إليها كالتي أوردها الإمام البقاعي مثلاً من أن مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد التي أشارت إليه الحديد بمن حاد الله ورسوله، كما أشار إلى مناسبة ظاهرة بين خاتمة السورة السابقة التي جاء فيها إثبات الفضل العظيم لله وحده، وأول هذه السورة التي سمع الله فيها قولها وهي تشكو النبي صلى الله عليه وسلم بعظيم فضله ومنه وكرمه سبحانه. وليعلم أهل الكتاب ما لهذه الأمة من عظيم المنة من ربهم في تخفيف الشدائد التي ابتدعوها الرهبانية فشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

وقد ظهرت المناسبة للإمام السيوطي من وجه آخر أنه لما ذكرت صفات الله تعالى كالأول والآخر والظاهر والباطن في سورة الحديد، ثم ذكرت معية الله لعبده بقوله: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾(الحديد:4)، افتتحت هذه بذكر سماع قول المجادلة التي شكت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– ثم إن آية التناجي تفصيل لآية المعية وهو توجيه دقيق فيه تكامل المقاصد بين السورتين.

أما الإمام المراغي فقد اعتمد على ما ذكره الإمامان السيوطي والبقاعي.

كما أورد الإمام الغماري مناسبة جديدة –لم أجدها في حدود اطلاعي عند السابقين والله أعلم– أنه لما جاء ذكر المنافقين وسبب دخولهم في النار، ذكر في المجادلة نوعا آخر من الكفر استحقوا به هذا الوعيد وهو موالاتهم لليهود، وهو توجيه جميل يظهر تكامل موضوعات السورتين بعضها ببعض.

ثم أضاف مناسبة أخرى أن في السورة السابقة جاء الأمر لأهل الكتاب بالإيمان بمحمد –صلى الله عليه وسلم– وأخبرهم بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، ثم في المجادلة ذكر شنيع قولهم وفعلهم ضد ما أمروا به، وهذا أيضاً وجه في التناسب في محله.

ولم أقف على المناسبة في تفسير الإمامين الرازي وأبي حيان في هذه السورة.

ووجه المناسبة الذي ظهر لي أنه أمر في آخر الواقعة بالتسبيح وبين في أول سورة الحديد أنه يسبح له ما في السموات والأرض، ثم ذكر جملة من الصفات الإلهية منها العلم،

فجاءت حادثة المجادلة التي سمع قولها برهاناً على علم الله تعالى، ودليلاً على معيته، وأنه عَلِم شكواها ففصَّل في مسألة الظهار، فهذه السورة هي بيان بالوقائع لمضمون تلك والله أعلم.

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة الحشر وخاتمة سورة المجادلة

خاتمة سورة المجادلة:

قال الله تعال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

فاتحة سورة الحشر:

قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر].

أولًا: التعريف بسورة الحشر

مدنية باتفاق، وتسمى سورة الحشر لوقوع لفظ الحشر فيها، وتسمى كذلك بسورة النضير؛ لذكر بني النضير فيها، وقصة إجلائهم من المدينة، وهي الثامنة والتسعون في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة البينة، وقبل سورة النصر، وكان نزولها سنة أربع من الهجرة عقب إخراج بني النضير من المدينة، وهي أربع وعشرون آية باتفاق العادين[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

أشار الإمام الغرناطي إلى وجه اتصال آخر سورة المجادلة بأول سورة الحشر، ففي الأولى جاء قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ (المجادلة:14) والمقصودون هم اليهود، ثم قال في آخرها: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المجادلة: 22)، وفي هذا تنفير المؤمنين منهم؛ لبغضهم للإيمان، وحبهم للنفاق، فلما أشارت الآيات السابقة إلى ما ذُكر، جاء في سورة الحشر بيان تعجيل هوانهم في الدنيا بإخراجهم من ديارهم وأموالهم، وكيف أن الله أذلهم، ومكن المسلمين منهم بعد أن افتتحت بالتسبيح تنزيهاً له سبحانه من شركهم، وقبح فعالهم، والتنزيه إنما يرد في القرآن إثر عظيمة يرتكبها العباد، أو جريمة تقع منهم، ووقعت هنا جريمة الشرك، فناسب البدء بالتسبيح هنا، وبذلك التحمت الآي، واتحدت المعاني، وتناسب الكلام[2].

وقال الإمام أبو حيان: "أنه لما ذكر حال المنافقين واليهود وتولي بعضهم بعضا، ذكر أيضا ما حل باليهود من غضب الله عليهم وجلائهم، وإمكان الله تعالى رسوله عليه الصلاة

---

[1] ينظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط:1 – 1418 هـ، ج5، ص198. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص62-63.
وينظر كذلك: الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ن: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط:1، 1421 هـ - 2001 م، ج29، ص89..

[2] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص184.

والسلام ممن حاد الله ورسوله ورام الغدر بالرسول عليه الصلاة والسلام وأظهر العداوة بحلفهم مع قريش"[1].

وأوضح الإمام البقاعي أن آخر المجادلة فيها إثبات القدرة الإلهية الشاملة، وبيان أن الغلبة لله ورسوله، وأن من حادهما يكون من الأشقياء المبعدين المطرودين، فلما جاء في خاتمتها هذا البيان، وظهر أن العزة لأهل طاعته، والذل لأهل معصيته، بدأ في هذه، فقال: ﴿سَبَّحَ﴾ تنزيها عن كل شائبة ونقص، وهو سبحانه المتصف بجميع صفات الكمال[2].

وأورد الإمام السيوطي ثلاثة أوجه في المناسبة أن آخر المجادلة نزلت فيمن قتل أقرباؤه من الصحابة يوم بدر، وأول الحشر نزلت في غزوة بني النضير وهي بعدها، وهذا نوع مناسبة. ومناسبة أخرى أنه قال في السابقة: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾(المجادلة:21)، وفي أول هذه ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾(الحشر:2)، كما جاء في آخر تلك ذكر من حاد الله ورسوله، وفي أول هذه ذكر من شاق الله ورسوله، و كل هذه أوجه التناسب بين السورتين[3]. وأورد الإمام الآلوسي الوجه الذي ذكره الإمام السيوطي[4].

وعند الإمام المراغي مناسبتها لما قبلها من وجوه: أنه ذكر في السابقة أن الغلبة لله ورسوله، وذكر في هذه أن الله أتاهم من حيث لم يحتسبوا. وأيضا جاء في السابقة ذكر من حاد الله ورسوله، وفي هذه ذكر من شاق الله ورسوله. وجاء في السابقة ذكر حال المنافقين واليهود، وموالاتهم بعضهم بعضاً، وفي هذه ذكر ما حل باليهود، وأن موالاة المنافين لهم لا تنفعهم في شيء[5].

---

[1] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص137.

[2] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص402-403، **مصاعد النظر**، ج3، ص72.

[3] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص122-123.

[4] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص232.

[5] ينظر: **تفسير المراغي**، ج28، ص30.

ونوه الشيخ الغماري إلى أن السورة السابقة فيها ذكر موالاة المنافقين لليهود، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ (المجادلة: 14)، وفي هذه تسليط رسوله والمؤمنين عليهم حتى أجلوهم من المدينة، وأن موالاة المنافقين لهم لم تنفعهم[1].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

بعد تأمل أقوال المفسرين نلاحظ أن هناك أوجه في التناسب واضحة، من ذلك ما أشار إليه الإمام الغرناطي من ذكر اليهود في المجادلة وقبح فعالهم، ومعاداتهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وتنفير المؤمنين منهم، وإرشادهم إلى عدم موادتهم وموالاتهم ولو كانوا أقرباؤهم؛ وافتتاح هذه بالتسبيح الذي يناسب مجيئه بعد ذكر قبيح فعالهم لتنزيه الله عن شركهم وكذبهم، ثم جاء في الثانية ذكر يهود بني النضير كنتيجة لغلبة الله ورسوله، وهو توجيه حسن.

ومن زاوية مقاربة أشار الإمام أبو حيان إلى هذا المعنى وكذلك الإمام البقاعي مع بيان أن سورة المجادلة ختمت ببيان عزة الله للمؤمنين، وخذلانه للكافرين، وبدأ هذه بـ ﴿سَبَّحَ﴾؛ لبيان التنزيه الأعظم من كل نقص. ثم أشار في أول الحشر إلى تعجيل هوانهم، وإخراجهم من ديارهم، وتمكين المسلمين منهم، فالتحمت الآيات ببعض، وهو وجه ظاهر للتناسب بين السورتين.

وتوصل الإمام السيوطي إلى أن آخر المجادلة نزل فيمن قتل أقرباؤه من الصحابة يوم بدر، وأول الحشر نزل في بني النضير، وغزوة بني النضير وقعت بعد غزوة بدر، فجاء ذكرهما في السورتين تماشياً مع الترتيب الزمني للوقائع التاريخية، وهذه من وجوه المناسبة.

وذكر مناسبة أخرى وهي أن في السورة السابقة بيان أن الغلبة لله ورسوله، وفي هذه قذف في قلوبهم الرعب، وأخرجهم من المدينة، فكانت الثانية بمثابة النتيجة للأولى، وهي من تمام المناسبة بين السورتين. وكذلك ربط بين من حاد الله ورسوله، ومن شاق الله ورسوله في السورتين، وهذه كلها أوجه في التناسب.

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص115-116.

وأشار الشيخ الغماري إلى موضوع موالاة المنافقين لليهود في سورة المجادلة، ثم ذكر في هذه ما تبين أن موالاتهم لهم لم تنفعهم في شيء، وهذه كلها مناسبات جلية بين السورتين. و لم أقف على المناسبة عند الإمام الرازي في هذه السورة.

والوجه الذي ظهر لي في التناسب أنه جاء في آخر سورة المجادلة ذكر لحزب الله وحزب الشيطان، وفي هذه ذكرٌ لليهود والمنافقين إشارة إلى حزب الشيطان، وذكرٌ للمهاجرين والأنصار إشارة إلى حزب الله، والله أعلم.

انتهى الفصل الأول بحمد لله.

الفصل الثاني: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الممتحنة إلى سورة القلم.

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الممتحنة وخاتمة سورة الحشر.

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة الصف وخاتمة سورة الممتحنة.

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة الجمعة وخاتمة سورة الصف.

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة المنافقون وخاتمة سورة الجمعة.

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة التغابن وخاتمة سورة المنافقون.

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة الطلاق وخاتمة سورة التغابن.

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة التحريم وخاتمة سورة الطلاق.

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة الملك وخاتمة سورة التحريم.

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة القلم وخاتمة سورة الملك.

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الممتحنة وخاتمة سورة الحشر

خاتمة سورة الحشر:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

فاتحة سورة الممتحنة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة].

أولًا: التعريف بسورة الممتحنة

مدنية باتفاق، نزلت سنة ست للهجرة، آيها ثلاث عشرة آية باتفاق أهل العدد، كما اتفقوا على أن الآية الأولى نزلت في شأن كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، وقد عدت الثانية والتسعون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة العقود وقبل سورة النساء. اشتملت السورة على أغراض عدة منها: تحذير المسلمين من اتخاذ المشركين أولياء، وإعلامهم بأن ذلك من الضلال، وأن أواصر القرابة لا يعتد بها في الدين إذا تعلق الأمر بنصرته. ودعا إلى حسن معاملة الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين قتال عداوة في الدين، كما أفاض في بيان أحكام المهاجرات المؤمنات، وبين عدم جواز إرجاعهن إلى المشركين[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

وجه اتصالها بما قبلها عند الإمام الرازي هو بيان حال النبي –صلى الله عليه وسلم– مع اليهود والنصارى وغيرهم، وأن منهم من أقدموا على الصلح، واعترفوا بصدقه نبوته، ومن جملتهم بنو النضير، في المقابل أنكر بعضهم ذلك، وأقدموا على القتال تصريحاً أو تخفياً، فهم مع أهل الإسلام في الظاهر، ومع أهل الكفر في الباطن. وذكر تعلق أول السورة بآخر السابقة، فتلك اشتملت على الصفات الحميدة للمولى سبحانه من الوحدانية وغيرها، وأول هذه فيها بيان حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات كاليهود والنصارى والمشركين[2].

وقال الإمام أبو حيان: (أنه لما ذكر فيما قبلها حالة المنافقين والكفار، افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودد إليهم)[3].

وأشار الإمام الغرناطي إلى أن أول هذه السورة فيها وصية للمؤمنين بترك موالاة الكفار ونهيهم عن ذلك، ودعا إلى التبري منهم، وهذا هو المعنى الوارد في آخر المجادلة في قوله تعالى:

---

[1] ينظر: الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، **أحكام القرآن للجصاص**، ت: عبد السلام محمد علي شاهين، ن: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط:1، 1415هـ/1994م، ج3، ص582. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص131.

[2] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص515.

[3] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص152.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(المجادلة:22)، فأوصى عباده في أول هذه بالتنزه عن موالاة الأعداء، وذكرهم بقصة إبراهيم -عليه السلام- والذين معه في معاداة قومهم، والتبرئة منهم. وسورة الحشر ذكر فيها أن من شأن المؤمنين عدم موادة من حاد الله ورسوله ولو كانوا من أقرب الناس إليه، واعترض بتنزيهه عن مرتكباتهم، أتبع ذلك بذكر ما عجل لهم من النقمة والنكال، ثم عاد الأمر إلى النهي عن موالاة الأعداء جملة، ولما كان أول الممتحنة إنما نزل في قصة حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه- وكتابه لكفار قريش وهم ليسوا من يهود، لكن طلب المعاداة للجميع واحد، وبذلك تلتحم السور الثلاث. وأكثرَ في سورة الممتحنة من ترداد الوصايا والعهود طالباً الإيفاء بذلك كله، ولذلك ذكر فيها أحكام بيعة النساء، فالسورة كلها من أولها إلى آخرها مبنية على طلب الوفاء؛ لينزه المؤمن عن حال من تقدم ذكره في آخر المجادلة وأول الحشر[1].

ولدى الإمام البقاعي وجوه في التناسب منها: أن سورة الحشر جاءت مذكرة بالنعمة في فتح بني النضير، معلمة بأنه لا ولي إلا الله، ولذلك تجد في خاتمتها صفات العزة والكمال للمولى سبحانه، وثبت أن أولياء الله هم المفلحون، وأن أعداءه هم الخاسرون، والحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، ولذلك ذم سبحانه في أول الممتحنة موالاة الأعداء ونصرتهم وسماهم منافقين، فعُلم بذلك وجوب البراءة من أهل الكفر والنفاق. وقد تقدم في المجادلة من النهي الشديد عن إظهار موادة الكفار، وجاء في الحشر الزجر العظيم عن إبطان ذلك، فلما تكفلت السورتان بالتحذير من ودهم ظاهراً وباطناً، جاء هنا في أول الممتحنة بتبكيت وزجر وتوبيخ من اتصف بالإيمان وسعى في موادتهم، فإن ذلك قادح في اعتقاد تفرده سبحانه بالعزة والنصرة[2].

وأما المناسبة التي أوردها الإمام السيوطي أنه لما كانت سورة الحشر نزلت في المعاهدين من أهل الكتاب عقب بهذه لاشتمالها على ذكر المعاهدين من المشركين، لأنها نزلت في صلح الحديبية. ويستطرد في ذكر وجه آخر وهو أن سورة الحشر ذكر فيها موالاة المؤمنين بعضهم

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان**، ص185.

[2] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص 483-485. وينظر كذلك: **مصاعد النظر**، ج3، ص75.

بعضاً، ثم موالاة الذي نافقوا الكفار من أهل الكتاب، افتتح هذه بنهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء، كي لا يشابهوا المنافقين في ذلك، فكانت هذه مع سابقتها في غاية الاتصال والتمام، ومن هنا يظهر سبب الفصل بينها وبين الحشر مع تآخيهما في الافتتاح بـ ﴿سَبَّحَ﴾[1].

وأورد الإمام الآلوسي الوجهين الذين ذكرهما السيوطي[2].

ويذكر الإمام المراغي وجهين في الاتصال، أولهما أن سورة الحشر فيها ذكر موالاة الذين نافقوا للذين كفروا من أهل الكتاب، وجاء هنا نهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء؛ لئلا يكون هناك شبه بينهم وبين المنافقين. والثاني أنه ذكر هناك المعاهدين من أهل الكتاب، بينما ذكر هنا المعاهدين من المشركين[3].

ووجه التناسب عند الشيخ الغماري أنه لما ذكر في السورة السابقة خذلان المنافقين واليهود، وكان للمؤمنين فيهم صداقة وقرابة ومعاملة يصانعونهم لمراعاتها ويوادونهم لأجلها، وربما أدت هذه المصانعة والموادة إلى إفشاء أسرار المسلمين؛ نهى في هذه السورة عن موالاة الكفار عموماً؛ لأنهم أعداءُ الله وأعداءُ رسوله والمؤمنين[4].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال سرد أقوال المفسرين، نجد أن الإمام الرازي ذكر وجه تناسب خاتمة سورة الحشر بأول سورة الممتحنة، مبيناً أن آخر تلك ذكرت فيها صفات الله الحميدة، وأول هذه اشتملت على حرمة موادة من لم يعترف بها، وهي مناسبة مباشرة بين الفاتحة والخاتمة.

كما أضاف أن السورتين فيهما بيان حال الرسول-صلى الله عليه وسلم- مع المعاهدين من أهل الكتاب والمشركين وهو وجه ظاهر حسن.

---

[1] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص123.

[2] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص259.

[3] ينظر: **تفسير المراغي**، ج28، ص60.

[4] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص118-119.

وذكر الإمام أبو حيان اشتمال الأولى على حالة المنافقين والكفار والموالاة التي بينهم، والنهي في هذه عن موالاتهم والتودد إليهم وهو ظاهر في المناسبة.

ووجه اتصال السورتين عند الإمام البقاعي أنه لما جاءت سورة الحشر مذكرة بنعمة الله في فتح بني النضير، وجاءت في خاتمتها صفات العزة والكمال لله تعالى، ذم في أول الممتحنة موالاة الأعداء ونصرتهم، وهو وجه في التناسب.

وظهر لي وجهان في مناسبتها لما قبلها:

1- أن سورة الحشر لما جاءت مذكرة بنعمة الله في فتح النضير، جاء في أول الممتحنة نهيٌ عن موالاة الأعداء والكفار، وكأنه أراد أن يقول: إني نصرتكم على الكفار ومكنتكم منهم، ومن تمام شكر النعمة أن لا تحصل لهم موالاة بعد ذلك، فجاء أول الممتحنة تقريعاً وتوبيخاً على من يواليهم.

2- لما ختمت السورة السابقة بذكر جملة من صفات المولى سبحانه، أمر في هذه بنهي موالاة الأعداء، يفهم من ذلك أن الموالاة لا تكون إلا للمؤمنين، وأن هذه الصفة هي من الإيمان برب اتصف بتلك الصفات الجليلة المذكورة في آخر سورة الحشر، والله أعلم.

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة الصف وخاتمة سورة الممتحنة

خاتمة سورة الممتحنة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة].

فاتحة سورة الصف:

قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف].

أولًا: التعريف بسورة الصف

سورة الصف، وتسمى سورة الحواريين، وهي مدنية في قول الجمهور، وروي عن بعضهم أنها مكية، واختلف في نزولها متتابعة أو متفرقة، وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح، وعدد آيها أربع عشرة آية باتفاق أهل العدد، وكان نزولها بعد غزوة أحد. جاءت لتحقيق أغراض نبيلة كالالتزام بالوفاء بالوعد، والتحريض على الجهاد والثبات فيه، وصدق الإيمان، وصدق نصرة الدين، والاقتداء بالصادقين كالحواريين، والتحذير من أذى النبي –صلى الله عليه وسلم–، وتعريض المنافقين، والوعد بحسن المثوبة في الآخرة[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

بين الإمام الرازي وجه تعلق هذه السور بما قبلها بأن في الأولى بيان الخروج في سبيل الله وابتغاء مرضاته، ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ﴾ (الممتحنة:١)، وفي هذه بيان ما يحملهم على الجهاد ويحثهم عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف: ٤)[2].

وأشار الإمام الغرناطي إلى وجه اتصال أول السورة بآخر ما قبلها، فذكر أن الممتحنة ختمت بقوله :﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾(الممتحنة:13) وهم اليهود، وقد تقدم في السورة إلى ما استوجبوا به هذا الغضب، وبدأ هذه بالتنزيه لما ذكر، ثم أتبع ذلك بالأمر بالوفاء، لأن نقيضه من شيمهم وديدنهم، وقد بين ذلك سبحانه في آيات كثيرة في القرآن، قال تعالى:﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ﴾ (النساء:45) وقال: "﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ

---

[1] ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، ت:أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ن: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط:1، ج3، ص153. وينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ت: عبد الرزاق المهدي، ن: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط:1، 1420 هـ، ج5، ص89. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28 ص 172- 173.

[2] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص526.

﴿وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ (المائدة: 41)، وغير ذلك من الآيات، وبمجموع هذا استوجبت عليهم اللعنة والغضب، فقيل للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾(الصف:2) أي احذروا من تشابه حالكم مع حال من استحقت عليه اللعنة وسوء العذاب، وأتبعه بحسن المثوبة لمن وفى قولا وعقداً وضميراً، وامتثل ما أُمر به، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾ (الصف:4). وهذا الوارد من هذا الغرض لما جاء في سورة الممتحنة على سبيل الوصية والنصح والإشفاق، أتبع في سورة الصف على سبيل العتب في ذلك والإنكار؛ ليكون أبلغ في الزجر، و أوقع على النفس. تأمل كم بين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾(الممتحنة:1) الآية، من لين الخطاب ولطف البيان، وبين قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ (الصف:1-2) من الشدة وقوة الخطاب[1].

وذكر الإمام أبو حيان أن قوله تعالى: ﴿لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ (الممتحنة:13) اقتضى إثبات العداوة بينهم، وفي هذه حض المؤمنين على الثبات إذا لقوا أعداءهم[2].

وأشار الإمام البقاعي إلى ما ذكره الإمام الغرناطي، ثم ذكر اتحاد مقاصد السورتين، فمقصود سورة الممتحنة الدعوة إلى البراءة منهم، وصدق عداوتهم. ومقصود هذه الحث على الاجتماع على قلب واحد، وتوحيد الكلمة والصف[3].

وبين الإمام السيوطي أنه لما جاء ذكر الجهاد في سبيل الله في سورة الممتحنة؛ جاء بسطه في هذه السورة في أحسن وجه [4].

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص186.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، 164، (بتصرف بسيط).

[3] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص1، **مصاعد النظر**، ج3، ص81.

[4] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص123.

وذكر الإمام الآلوسي أن سورة الصف اشتملت على الحث على الجهاد في سبيل الله، والترغيب فيه، وتوحيد الصف من أجله، كل هذا فيه تأكيد النهي عن اتخاذ الكفار أولياء الذي أشير إليه في سورة الممتحنة[1].

واقتصر الإمام المراغي على وجه الإمام الآلوسي[2].

ونوه الشيخ الغماري إلى وجه تناسب أول السورة السابقة بآخرها، ففي الموضعين نهي عن موالاة الكفار، ويسمى هذا عند أهل البلاغة "رد العجز على الصدر" ، فناسب في أول هذه أن يبدأ بالحض على القتال الذي به تكون نصرة الدين، وإعلاء كلمة الله، وتعاتبهم على تثاقلهم في القيام بهذه التجارة الرابحة عند الله تعالى، والتي تورث لهم الرحمة والمغفرة، وحسن المثوبة في الدنيا والآخرة[3].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

نلاحظ أن وجه التناسب منسجم عند الإمام الرازي فالأولى فيها الدعوة إلى الخروج للجهاد في سبيله، والثانية فيها ما يحثهم على ذلك ببيان محبة الله لهم إذا فعلوا ذلك.

وقد ربط الإمام الغرناطي بين فاتحة هذه السورة بخاتمة ما قبلها، حيث إن ما قبلها ختمت بالنهي عن موالاة اليهود الذين غضب الله عليهم، وبدأ هذه بالتسبيح تنزيهاً عن قبائح أفعالهم. كما أشار إلى أن سورة الممتحنة فيها دعوة إلى النهي عن اتخاذهم أولياء بشيء من التلطف في الخطاب، بينما في سورة الصف جاء بطريق العتب على التشبه بحال من أحوالهم، كالقول بما يخالف الفعل، وكأن السورة السابقة مهدت لهذا الغرض والبيان، وهو التحذير الشديد من التشبه بهم، وبصفاتهم، والدعوة إلى توحيد الصف وتوحيد الكلمة ضدهم، وهو من وجوه الاتصال. وتوجيه الإمام أبي حيان يقارب التوجيه الثاني للإمام ابن الزبير الغرناطي.

---

[1] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص277.

[2] ينظر: **تفسير المراغي**، ج28، ص79.

[3] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص119.

ووجه الاتصال عند الإمام البقاعي واضح بيّن، فسورة الممتحنة دعت إلى البراءة من الكفار وعدم موالاتهم، وهذه فيها ذكر الجهاد وتوحيد الصف، فتكون هذه بمثابة النتيجة التي تترتب على عدم الموالاة المشار إليها في سورة الممتحنة.

وقد ذكر الإمام السيوطي أن سورة الممتحنة جاء فيها ذكر الجهاد، وفي هذه تفصيل ذلك ببيان أسباب القوة بالأخذ بالأسباب، والاعتبار بالصالحين، والسعي لنيل محبة الله ورضوانه.

وقد أظهر الإمام الآلوسي المناسبة بين الخاتمة والفاتحة ببيان أن سورة الصف فيها الحث على الجهاد، ونيل مرضاة الله، وهذا لا يكون إلا بالتبري منهم، وعدم اتخاذهم أولياء المشار إليه في الممتحنة، وهو ظاهر التناسب بين السورتين.

وقد ذكر الشيخ الغماري وجه اتصال أول السورة السابقة بآخرها، ثم مناسبتها بفاتحة التي بعدها وقد أحسن في ذلك كله.

والذي ظهر لي في التناسب أن آخر سورة الممتحنة فيه نهي لفقراء المؤمنين الذين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين من فعلتهم تلك، وفي هذه ذكر لبعض صفات الوحدانية والربوبية كالعزة والحكمة التي من مقتضى الإيمان بها صرف الآمال إليه، والتوكل عليه لا على من سواه فضلاً أن يحصل ذلك مع قوم يئسوا من رحمته، وحل عليهم غضبه.

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة الجمعة وخاتمة سورة الصف

خاتمة سورة الصف:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [الصف].

فاتحة سورة الجمعة:

قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: 1-4]

أولًا التعريف بسورة الجمعة

مدنية باتفاق، وتسمى سورة الجمعة لوقوع لفظ الجمعة فيها، أو نسبة إلى صلاة الجمعة؛ نظراً لورود أحكام الجمعة فيها، والظاهر أنها نزلت دفعة واحدة سنة ست وهي سنة خيبر، وقد عدت هذه السورة السادسة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة التحريم وقبل سورة التغابن، وعدت آيها إحدى عشرة آية باتفاق أهل العدد[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

ذكر الإمام الرازي مناسبة فاتحة هذه السورة بخاتمة ما قبلها التي فيها تأييد أهل الإيمان حتى صاروا عالين على الكفار وذلك وفق الحكمة الإلهية لا لحاجة إليهم، بل هو الغني المطلق، بدأ هذه بالتسبيح تنزيهاً عن كل ما لا يليق به سبحانه مما قد يخطر على البال من صفات النقص.

وأورد مناسبة أخرى أنه لما قال في أول تلك ﴿سَبَّحَ﴾بلفظ الماضي، وذلك لا يدل على التسبيح في المستقبل، وهذه قال فيها ﴿يُسَبِّحُ﴾بلفظ الاستمرار والدوام ليدل على التسبيح في زماني الحاضر والمستقبل[2].

ووجه التناسب عند الإمام الغرناطي أن السورة السابقة ختمت بالثناء على الحواريين في جميل إيمانهم وحسن استجابتهم، وأمر المؤمنين بالتشبه بهم، فقال: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾(الصف:14)، ولربما كان ذلك يوهم فضل أتباع عيسى -عليه السلام- على أتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- وأتبع هذه بذكر هذه الأمة والثناء عليها بعد أن افتتحت بالتنزيه لما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞ﴾(الصف:14) لأنهم قالوا بالبنوة، وتلك كبيرة وعظيمة، فنزه سبحانه عن ذلك، ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾(الجمعة:2) إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾(الجمعة:4). ثم أعقبها

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص205.

[2] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص537.

بذكر طائفة تبين لها الحق ولاح لها نور الهدى فغاصت في ظلمات الجهل، وعميت عن ذلك النور، ولم تزدد بما حملت إلا حيرة وضلالة، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾(الجمعة:5) الآية، وسيقت هذه الآية في معرض التنبيه لمن تقدم الثناء عليهم ورحمته بهم؛ لئلا يكونوا ممن يتلوا عليهم نبيهم الكتاب فيكون حالهم مثل حال ممن مقتوا ولعنوا بعد حملهم التوراة، فوعظهم لطفاً من الله بهذه الأمة[1].

وقال صاحب البحر: "أنه تعالى لما ذكر تأييد من آمن على أعدائهم، أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه، وذكر ما أنعم به على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بعثته إليهم، وتلاوته عليهم كتابه، وتزكيتهم، فصارت أمته غالبة سائر الأمم، قاهرة لها، منتشرة الدعوة، كما انتشرت دعوة الحواريين في زمانهم"[2].

وللإمام البقاعي لطائف في وجوه الاتصال، منها: أن مقصود هذه هو بيان معنى الصف بشريعة من شرائع الإسلام وهي الجمعة المراد منها الاجتماع والإقبال عليها والتجرد عن غيرها والانقطاع لما وقع من التفرق حال الخطبة عمن دعا إلى التزكية بالاجتماع عليه في الجِهادِ وغيره في المنشط والمكره والعسر واليسر، وفيه دعوة إلى التواصل والاجتماع ودوام الإقبال على المزكي والحب له والاتباع[3].

ولما ختمت سورة الصف بذكر بني إسرائيل الذين أقبلوا على جنابه الأقدس، لكنهم زاغوا، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم. وفي ذلك دلالة على تمام القدرة المستلزم لشمول العلم اللازم منه التنزه عن كل شائبة أو نقص، وكان سبحانه قد بدأ السور الثلاث (الحديد والحشر والصف) بالتسبيح بصيغة الماضي، وفي ذلك منتهى الإثبات المؤكد مع ثبوت وقوع التنزيه من كل ناطق وصامت، جاء في أول هذه بالتعبير بالمضارع للتنزيه على وجه التجديد والاستمرار، وأكد بنفس الصيغة في التغابن، ولأنه بعد الوقوع على هذا الوجه لم يحتج إلى التأكيد بأكثر

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص187.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص171.

[3] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص44-45.

من مرة، لذلك جعل بين كل مسبحتين سورة خالية ليكون أدل على قصد التأكيد من حيث شدة الاعتناء بالذكر[1].

وذكر الإمام السيوطي وجوهاً عدة في اتصالها بما قبلها منها أنه تعالى ذكر في سورة الصف حال موسى –عليه السلام– مع قومه ناعياً عليهم ذلك، وذكر في هذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل أمته، تشريفاً لهم، ليظهر الفضل ما بين الأمتين. وأيضا ذكر هناك قول عيسى – عليه السلام –﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ الصف: ٦ " وقال هنا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ..﴾ الجمعة: ٢

"وفيه إشارة إلى أنه الذي بشر به عيسى عليه السلام. أيضا لما ختمت السابقة بالأمر بالإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله وسمى ذلك تجارة، ختم في هذه بالأمر بالجمعة لبيان أنها خير من التجارة الدنيوية.

وأيضا سميت السورة السابقة بسورة الصف والصفوف إنما تشرع في موضعين: القتال والصلاة، فناسب تعقيب ذلك بسورة الجمعة التي جاء فيها ذكر الجمعة التي يلتزم المسلمون فيها الجماعة والصف[2].

وأورد الإمام الآلوسي الوجوه التي ساقها الإمام السيوطي، مضيفاً في الوجه الرابع أن في السابقة ذِكر اصطفاف في العبادات ظاهر، وفي الثانية فلأن فيها الأمر بالجمعة التي تحصل فيها الاصطفاف والتزام الجماعة[3].

وأظهر الإمام المراغي المناسبة ببيان أن الأولى فيها ذكر حال موسى –عليه السلام– مع قومه، وفي هذه ذكر حال النبي –صلى الله عليه وسلم– وفضل أمته على جميع الأمم. كما أشار إلى البشارة التي جاءت في سورة الصف ببعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– التي أكدتها

---

[1] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص83-84.

[2] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص124.

[3] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص287.

سورة الجمعة. وأشار كذلك إلى أن الأولى فيها ذكر الجهاد وسماها تجارة، ختمت هذه بالأمر بالجمعة، وأنها خير من التجارة الدنيوية[1].

وبين الشيخ الغماري أن السورة السابقة ذكرت رسالة موسى وعيسى -عليهما السلام- إلى بني إسرائيل، فناسب في هذه ذكر رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى العرب وهم الأميون، وبذلك ذكرت السورتان الرسالات السماوية الثلاث الكبرى في العالم.

وذكر أيضاً أنه سبحانه حكى في السورة السابقة عن عيسى الذي بشر بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وفي هذه ذم بني إسرائيل اللذين حرفوا صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- وجحدوها ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾(الجمعة:5) وهذا ذم بليغ لهم لأنهم لم ينفذوا تلك البشارة، وجاء الاقتصار على ذم اليهود لأنهم أسبق إلى التحريف، والنصارى تبع لهم في التقليد، لأن التوراة كانت مكتوبة بخلاف الإنجيل الذي لم يكتب[2].

كما نقل الهرري - كلام المراغي- ثم أورد وجه الإمام أبي حيان في المناسبة[3].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

نلاحظ أن الإمام الرازي أوجد المناسبة بين فاتحة سورة الجمعة وخاتمة سورة الصف بذكر تأييد أهل الإيمان على الكفار مع أنه سبحانه غني عن عباده، ولذلك بدأ في هذه بذكر التنزيه المطلق له سبحانه، وقد أحسن في التنويه إلى صيغ أفعال التسبيح ومدلولاتها، وهي لفتة في غاية الجمال.

---

[1] ينظر: **تفسير المراغي**، ج28، ص93.

[2] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص120-121.

[3] ينظر: الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير **حدائق الروح والريحان**، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط1، 2001م، ج29، ص280.

وأحسن الإمام الغرناطي في الإشارة إلى سبب ذكر أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– في أول سورة الجمعة بعد أن أمرهم إلى التشبه بالحواريين وأثنى على إيمانهم؛ كيلا يظن ظان أن أتباع عيسى –عليه السلام– خير من أتباع محمد –صلى الله عليه وسلم–.

أما الإمام البقاعي فإنه أبدع في ربط فواتح السورة السابقة بالتسبيح بصيغة الماضي وبين هذه والتي بعدها بالتسبيح بصيغة المضارع، وبيّن دلالات كل تلك الصيغ، ومواقع تلك السور، والسر في ذلك.

وأظهر الإمام أبو حيان المناسبة ببيان نصرة الله وتأييده للمؤمنين، هناك بذكر الحواريين، وهنا بذكر أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وتلك مناسبة معتبرة.

وتألق الإمام السيوطي في بيان وجوه عدة، كإيراد قصة موسى عليه السلام مع قومه، وحال النبي مع قومه، وكذلك من ناحية البشارة التي تقدمت بمجيئه في السورة السابقة مع الأمر بالجمعة في هذه وما بينهما من التعلق والتناسق، وأيضا ربط بين تسمية السورة السابقة بالصف وبين ذكر الجمعة في هذه أحسن رباط، والحقيقة أنه أبدع في بيان وتحليل كل هذه الوجوه.

وأحسن الشيخ الغماري في بيان أن السورتين تضمنتا الرسالات السماوية الثلاثة الكبرى، كما أشار إلى بشارة عيسى عليه السلام بمجيء محمد –صلى الله عليه وسلم– في السابقة، وذم بني إسرائيل في هذه بسبب تحريفهم لصفته صلى الله عليه وسلم.

مما سبق نستنتج أن الرازي والبقاعي والسيوطي أجمعوا على ذكر دلالات صيغ أفعال التسبيح، إلا أن الغرناطي لم يشر إلى ذلك.

وقد أفاض الإمام البقاعي في الحديث عن صيغ أفعال التسبيح في فواتح السور السابقة واللاحقة بشكل لم يسبق إليه أحد.

وأورد الإمام السيوطي كل المناسبات الممكنة بين السورتين بشكل مبسط ولغة واضحة وهذا من محامده.

كما تفرد الشيخ الغماري في الإشارة إلى تضمن السورتين للرسالات السماوية الكبرى، وهي إشارة حسنة.

وقد ظهر لي وجهان في التناسب:

١- ورد في آخر السورة السابقة تأييد الذين آمنوا على عدوهم، وبدأت هذه بذكر جملة من الصفات الجليلة للمولى سبحانه، وكأن المعنى أن ذلك التأييد والنصرة للمؤمنين إنما هي من ملك قدوس عزيز حكيم تأكيداً لهذا الغرض، وإشارةً للمؤمنين إلى توحيد الصف، وجمع الكلمة على الحق.

٢- جاء هناك ذكر "أنصار الله" وهم المعينون في الدعوة إلى الله من الحواريين أتباع عيسى عليه السلام، وهنا جاء ذكر الآخرين الذين يلحقون بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أتباعه الذين يؤمنون به وينصرون دعوته، إشارة إلى أنهم كذلك أنصار الله.

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة المنافقون وخاتمة سورة الجمعة

خاتمة سورة الجمعة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾ [الجمعة: 9-11]

فاتحة سورة المنافقون:

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾ [المنافقون: 1-3]

أولًا: التعريف بسورة المنافقون

مدنية باتفاق وعدد آيها إحدى عشرة آية باتفاق أهل العد، وعدت الثانية بعد المائة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الحج وقبل سورة المجادلة وكان نزولها في غزوة بني المصطلق سنة خمس على الراجح من الأقوال. من أغراضها الرئيسية فضح أحوال المنافقين، وتحذير المؤمنين منهم ومن التشبه بهم، وختمت بموعظة المؤمنين وحثهم على الإنفاق، وبيان أن ما عند الله خير وأبقى[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

وجه المناسبة عند الإمام الرازي أن الأولى اشتملت على ذكر بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر من كان يكذبه قلباً ولساناً بضرب المثل في اليهود، أما هذه فقد اشتملت على ذكر من كان يكذبه قلباً دون اللسان، ويصدقه لساناً دون القلب وهم المنافقون. ويذكر المناسبة بين الفاتحة والخاتمة ببيان أنه لما جاء في آخر تلك تنبيه أهل الإيمان على تعظيم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ورعاية حقه بعد النداء لصلاة الجمعة، وتقديم متابعته في الأداء على غيره، وأن ترك التعظيم والمتابعة من شيم المنافقين، والمنافقون هم الكاذبون، ذكر في أول هذه ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ (المنافقون:1)[2].

ووجه المناسبة عند الإمام الغرناطي أنه لما ذكر في أول السابقة حال المؤمنين أعقب بذكر حال من لم ينتفع بما حُمِّل، ثم أتبع في هذه بذكر من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وهم المنافقون، وكأنه قيل لهم ليس من أظهر الاستجابة من بني إسرائيل ثم كان ممن حمل كمثل الحمار يحمل أسفاراً بأعجب من حال إخوانكم الموصوفين في الجاهلية بالجودة وحسن الرأي

---

[1] ينظر: **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، ينسب الكتاب لعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ)، ن: دار الكتب العلمية - لبنان، د.ط، د.س، ج1، ص472. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص 232-233.

[2] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص545-546.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ (المنافقون:4) ولكن المنافقون لا يفقهون"[1].

وبين الإمام أبو حيان في وجه مناسبتها لما قبلها أنه لما كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلا عن المنافقين، واتبعهم في ذلك ناس كثير من المؤمنين، وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة، جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبعه بقبائح أفعالهم وأقوالهم[2].

وذكر الإمام البقاعي في وجه اتصال هذه السورة مع السور السابقة أنه نهى في الممتحنة من اتخاذ عدوه ولياً، وذم في الصف المخالفة بين القول والفعل، وحذر في آخر الجمعة من الإعراض عن حال من أحوال النبي –صلى الله عليه وسلم– لأن ذلك من النفاق، وفي هذه قبَّح من هذا صفته[3].

وأبرز الإمام السيوطي المناسبة بذكر أن ما قبلها ذكر فيها المؤمنون، وهذه ذكر فيها أضدادهم وهم المنافقون، ثم يذكر أن من تمام المناسبة أن السورة التي بعدها ذكر فيها المشركون، والسورة التي قبلها –الصف– ذكر فيها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والتي قبلها وهي الممتحنة ذكر فيها المعاهدون من المشركين، والتي قبلها وهي الحشر ذكر فيها المعاهدون من أهل الكتاب وهم يهود بني النضير. وبذلك تتضح المناسبة في ترتيب السور الست لأنها تشتمل على أصناف الأمم. وإلحاق سورة المعاهدين من أهل الكتاب بسورة المعاهدين من المشركين أنسب وأليق، وإلحاق سورة المؤمنون بسورة المنافقون أحكم وأضبط[4].

وأشار الإمام الآلوسي إلى أن السورة السابقة فيها ذكر المؤمنين، وفي هذه ذكر المنافقين، وأضاف وجهاً آخر – نقلا عن أبي حيان وتحديدا في مناسبة فاتحة هذه السورة وخاتمة السابقة – فيقول أن الانفضاض عن سماع الخطبة إنما يحصل من المنافقين، وأتبعهم

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص187.

[2] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص179.

[3] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص73–74، **مصاعد النظر**، ج3، ص87.

[4] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر في تناسق الدرر**، ص125.

ناساً من المؤمنين لمتاع الدنيا، ولذلك أتبع في هذه بذكر قبائح أفعال المنافقين محذراً منهم، ثم قال: (والأول أولى) إشارة إلى تضعيفه[1].

ولم يخرج الإمام المراغي عما ذكره المفسرون قبله في بيان المناسبة من خلال ذكر المؤمنين في سورة الجمعة وذكر المنافقين في هذه، ولذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ بهما في صلاة الجمعة لتحريض المؤمنين على العبادة وتقريع المنافقين على النفاق[2].

وبين الشيخ الغماري أن السورة السابقة جاء فيها ذكر رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى العرب وغيرهم، وذم اليهود الذين حرفوا صفته، وجحدوا رسالته، كشف هنا كذب المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر[3].

وأما الهرري فبعد نقله لكلام المراغي بتمامه أورد كلام الإمام أبي حيان أن الانصراف من الخطبة من سمات المنافقين، وحذر المسلمين من ذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة، وإن كانت الحاجة شديدة والوقت وقت مجاعة[4].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

نجد أن الإمام الرازي ممن ربط بين فاتحة هذه مع خاتمة السابقة وقد أحسن في بيان ذلك. كما وجدنا أن المفسرين مجمعون على ذكر الوجه الذي فيه ذكر المؤمنين في السابقة وذكر المنافقين في هذه.

ووجدنا أن الإمام البقاعي ربط هذه السورة بعدة سور قبلها من خلال ذكر المناهي الإلهية التي جاءت في كل سورة، وهي كذلك من صور التناسب.

أما الإمام السيوطي فقد توسع أكثر من الإمام البقاعي في إظهار العلاقة بين السور السابقة حتى امتدت إلى ست سور (من الحشر إلى المنافقين)، وهذا من أبدع البيان.

---

[1] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص303.

[2] ينظر: **تفسير المراغي**، ج28، ص105.

[3] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص122.

[4] ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج29، ص317.

وتبين لي وجه في المناسبة أن في آخر سورة الجمعة أمر للمؤمنين بكثرة ذكر الله، وفي هذه ذكرٌ للمنافقين الذين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهذا تأكيد على أمر الذكر، وبيان أنه يعصم صاحبه من النفاق.

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة التغابن وخاتمة سورة المنافقون

خاتمة سورة المنافقون:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: 9-11].

فاتحة سورة التغابن:

قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾ [التغابن: 1-4].

أولًا: التعريف بسورة التغابن

مدنية في قول الجمهور، وروي عن بعضهم أنها مكية لكنهم استثنوا الآيات من قوله عز وجل: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ﴾ إلى آخر السورة وأنها مدنية، ومعدودة السابعة والمائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الجمعة وقبل سورة الصف، وعددها آيها ثماني عشرة آية. اشتملت على أغراض عدة من أهمها بيان أن كل شيء يسبح بحمد الله، وينزهه ويمجده، والتحذير من إنكار رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وتثبيت المؤمنين، وتحذيرهم من المشركين، والصبر على أذاهم، والأمر بالإنفاق وتقوى الله والسمع والطاعة له سبحانه[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

يقول الإمام الرازي أن سورة المنافقون للمنافقين الكاذبين، وسورة التغابن للمنافقين الصادقين، وكذلك تلك اشتملت على ذكر بطالة أهل النفاق سراً وعلانية، وهذه اشتملت على ما فيه التهديد البالغ لهم "ويعلم ما تسرون وما تعلنون". وأما تعلق الأول بالآخر فهو ظاهر، ذلك أن في آخر تلك أمر بالذكر والشكر، وفي أول هذه إشارة إلى أنهم أعرضوا عن الذكر والشكر، فبدأها بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾لبيان أن من الخلق قوم يواظبون على الذكر والشكر دائماً وهم الذين يسبحون[2].

ويظهر الإمام الغرناطي التناسب ببيان أنه لما ذكر في السورتين السابقتين حال اليهود وحال المنافقين وبين خروجهم عن سواء السبيل، وصفهم هنا بالكفر، وبين أن الخلق جميعاً مع تعدد المذاهب وتشعب الفرق ينظرون إلى طريقتين "فمنكم كافر ومنكم مؤمن"، وافتتحت هذه بالتنزيه من قبائح أفعال المنافقين مثل قولهم : ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾(المنافقون:8)

---

[1] ينظر: ينظر:الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:1 - 1418 هـ، ج5، ص438. **وينظر:** ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص259-260.

[2] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص551.

ثم جاء توبيخهم وتقريعهم في عدة آيات وذكَّرهم بسلفهم، وكيف كان مصيرهم ومآلهم الأخروي[1].

ويبين الإمام أبو حيان التناسب بذكر أن ما قبلها اشتمل على حال المنافقين، وفي آخرها خطاب المؤمنين، فأتبعه في هذه بما يناسبه فقال ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾ (التغابن:2)[2].

ويذكر الإمام البقاعي أن سورة المنافقون لما ختمت بإثبات القهر بنفوذ الأمر وإحاطة العلم، افتتح هذه بإحاطة الحمد، ودوام التنزه عن كل شائبة ونقص. وينقل كلام ابن الزبير الغرناطي[3]. ثم يذكر أن مقصود هذه هو الإبلاغ في التحذير مما حذرت منه سورة المنافقون بإقامة الدليل القاطع على أنه لا بد من العرض على الملِك يوم الجمع الأعظم[4].

ووجه المناسبة عند الإمام السيوطي أن آخر سورة المنافقون جاء فيها قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ (المنافقون:10) الآية، عقب بسورة التغابن لأنه قيل في معناه أن الإنسان يأتي يوم القيامة وقد جمع مالاً كثيراً، ولم يعمل فيه خيراً، فأخذه وراثه بسهولة من غير كد ولا تعب، فأنفقه في وجوه الخير، فكان الجامع الذي تعب في جمعه معذب محاسب، والوارث الذي ورث بسهولة منعم مثاب، وذلك هو التغابن، ولذا ذكر هنا ﴿وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (التغابن:16).

وأيضاً قال في آخر تلك ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ (المنافقون:9)، وفي هذه ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾(التغابن:15) وهذه الجملة كالتعليل لتلك الجملة، فجاءت على ترتيبها[5].

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص188.

[2] ينظر، أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص188.

[3] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص99-101.

[4] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص90.

[5] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص125-126.

ويبين الإمام الآلوسي وجه المناسبة أنه ذكر هناك حال المنافقين، ثم جاء الخطاب للمؤمنين، ثم تقسيمهم هنا إلى مؤمن وكافر. وأيضاً في آخر تلك ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ (المنافقون:9)، وفي هذه ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(التغابن:15). وأيضا في هذه الحث على الإنفاق قبل الموت المأمور به فيما قبل. ويذكر أن بعضهم استنبط عمر النبي -صلى الله عليه وسلم- من قوله تعالى ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ (المنافقون:9)، فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقب بعدها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده عليه الصلاة والسلام[1].

ويورد الإمام المراغي مجموعة من أوجه التناسب فهي تتعلق بالمناسبة بين الفاتحة والخاتمة من ناحية المقطع والمطلع، ففي تلك ذكر حال المنافقين، ثم خوطب المؤمنون، وهنا قسم الناس إلى قسمين مؤمن وكافر. وهناك نهى عن الاشتغال بالأولاد عن ذكر الله، وهنا ذكر أن الأموال والأولاد فتنة. وأيضاً في السورتين حث على الإنفاق في سبيل الله[2].

وأما الشيخ الغماري فيشير إلى المناسبة ببيان أن تلك لما حذرت من المنافقين، وبينت عداوتهم للمؤمنين، أخبر هنا أن بعض أزواج المؤمنين وأولادهم أعداء لهم يشغلونهم عن فعل الخير كما يشغلهم المنافقون وحذر منهم، فالمناسبة بين السورتين هي التحذير من عدوين متداخلين قد تختفي عداوتهما ويصعب الاحتراس منها فتقع الكارثة بالمؤمنين[3].

ويذكر الهرري كعادته كلام الإمام المراغي بتمامه، ويضيف إليه ما قاله أبو حيان وهو الذي ذكره المراغي في أول أوجه التناسب عنده[4].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

---

[1] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص314.

[2] ينظر: **تفسير المراغي**، ج28، ص118.

[3] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص122-123.

[4] ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج29، ص354-355.

أحسن الإمام الرازي كعادته في إظهار المناسبة بين الفاتحة والخاتمة، ولكن أشكل علي تقسيمه للمذكورين في السورتين إلى منافقين كاذبين، ومنافقين صادقين، وسعيت لفهم مراده ومدلول كلامه، ولم أصل فيه إلى نتيجة سوى القول بأنه ربما يقصد بالمنافقين الكاذبين من خالف قوله معتقده، وكما يقول الحافظ ابن أبي زمنين "إنما يقولونه بأفواههم، وقلوبهم ليست على الإيمان"[1]، فهم حينما يقولون نشهد إنك لرسول الله هم في هذا كاذبون؛ لأنهم "لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه؛ ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم"[2]، أما في سورة التغابن فالمنافقون هم الكافرون، فهم حين يزعمون أنهم لن يبعثوا هم في هذا صادقون؛ لأنه مطابق لما في قرارة أنفسهم، وموافق لما في معتقدهم، فلم يقولوا بخلاف ما يظنون، والله أعلم.

والوجه الذي ذكره الإمام الغرناطي يبرز الصفة المشتركة بين المذكورين في هذه السورة والتي قبلها مع التي قبلها من أن جميعهم اتصفوا بالكفر واتسموا به، سواء كانوا منافقين، أو أهل الكتاب من اليهود،". وهذه لفتة جيدة تبرز الوحدة القرآنية بين السور.

وقد ناسب الوجه الذي ذكره الإمام أبو حيان من ذكر المنافقين والمؤمنين في السورة السابقة إلى مجيء الكفر والإيمان في هذه السورة.

كما جاء الإمام السيوطي بمعنى –لم أقف عليه عند أحد في حدود اطلاعي والله أعلم– وهو تفسيره لكلمة التغابن، وما قيل فيها من أن المقصود هو البخيل الغني الذي يمتنع عن الصدقة، والوارث السخي المنفق المتصدق، وذاك وزره عظيم مع تعبه، وهذا أجره عظيم مع راحته، وهي لفتة جميلة لو صح هذا في معنى التغابن، لأنه يصدر كلامه بعبارة (وقيل). ويشير كذلك إلى ذكر فتنة الأموال والأولاد في السورتين.

---

[1] ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المالكي (المتوفى: 399هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، ن: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط:1، 1423هـ – 2002م، ج4، ص394.

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ت: سامي بن محمد سلامة، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2 1420هـ – 1999م، ج8،ص125.

كما أشار الإمام الآلوسي إلى وجه جديد وهو أن هذه السورة فيها حث على الإنفاق قبل الموت الذي أشير إليه في تلك، لكننا نجد هناك أن الآية نفسها تبين هذا المعنى وبشكل مباشر ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾(المنافقون:10)، لكن ربما يقصد الإمام مجيئ الحث بالإنفاق في السورتين والله أعلم. وأما الاستنباط الذي ذكره عن البعض في تحديد عمر النبي صلى الله عيه وسلم فله اعتباره. لكن ما لفت نظري هو عبارة (ليظهر التغابن في فقده عليه السلام)، فهذا الكلام يشهد له الحديث الذي في الصحيحين (بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو: كهاتين " وقرن بين السبابة والوسطى)[1] والله أعلم وأحكم.

والشيخ الغماري كعادته في الإتحاف بالجديد ذكر أن التناسب في ذكر عدوين خفيين، وفتنتين عظيمتين للمؤمنين، هما فتنة النفاق، وفتنة الأموال والأولاد، يجب التعامل معهما بحكمة وحذر، وهذا من تمام المناسبة.

ووقفت على وجهين في التناسب:

١- أنه ختم السابقة بما يتعلق بعلمه بأعمال العبد، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون:١١)، وفي هذه ذكرٌ لما يتعلق بالأمر نفسه، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن:٢).

٢- نلاحظ أيضاً أن الآية المذكورة في السورة السابقة في سياق الندم على تقصيره في الصلاح والإنفاق، والآية في هذه في سياق الكفر والإيمان، تنويهاً إلى أن تلك الأمور هي من اختيار العبد لكنه سبحانه خبير بأعمالهم لا تخفى عليه خافية.

---

[1] أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الرقاق، "باب اللعان"، و"باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين"، ج7، ص105. وأخرجه كذلك **مسلم** في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، "باب قرب الساعة"، ج4، ص2268.

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة الطلاق وخاتمة سورة التغابن

خاتمة سورة التغابن:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [التغابن: 14-18].

فاتحة سورة الطلاق:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ [الطلاق: 1].

أولاً: التعريف بسورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القصرى أو الصغرى، وهي مدنية باتفاق، وعدد آيها اثنتا عشرة آية، وهي السورة السادسة والتسعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الإنسان وقبل سورة البينة. من أغراضها تحديد أحكام الطلاق، والعدة، والإرضاع، والإنفاق، والإسكان، والتزام حدود الله في كل تلك الأحكام، وبيان أن تقوى الله هو سبب تيسير الأمور، وتكفير السيئات[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

أشار الإمام الرازي إلى مناسبة أول هذه السورة بخاتمة ما قبلها، فتلك لما ختمت بالإشارة إلى كمال علمه ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(التغابن:18)، أشار في أول هذه إلى كمال علمه بمصالح النساء، والأحكام التي تتعلق بهن، فكأنه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات. وأما تعلقها بما قبلها ككل، فقد قال في تلك" ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾(التغابن: 1)، والملك يحتاج إلى التصرف الذي يحصل منه نظام الملك، والحمد يحتاج إلى العدل في ذلك التصرف وقدرته على من يمنعه من تصريف الأحكام، فهذه السورة والأحكام التي احتوت عليها تتضمن تلك الأمور[2].

وذكر الإمام الغرناطي أنه لما تقدم في سورة المنافقون قوله تعالى: ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾(المنافقون:9)، وفي سورة التغابن ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾(التغابن 14)، وقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾(التغابن:15)، والمؤمن قد يضطر إلى فراق من نبه على فتنته ومحنته، وردت في هذه السورة الأحكام التي تتعلق بهذا الافتراق. ثم أشار إلى أن هذه العداوة وإن استحكمت وعظمت لا

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص293.

[2] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص558.

توجب قطع المعروف، والتبري بالجملة ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾(الطلاق:1)، وأمر بالإحسان ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[1].

وذكر الإمام أبو حيان إلى "أنه لما ذكر الفتنة بالمال والولد، أشار إلى الفتنة بالنساء، وأنهن قد يعرضن الرجال للفتنة حتى لا يجد مخلصا منها إلا بالطلاق"[2].

ولم يخرج قول الإمام النيسابوري عما ذكره الإمام الغرناطي[3].

وبين الإمام البقاعي وجه الاتصال ببيان أن تلك لما ختمت بأنه تعالى شكور حليم، عزيز حكيم، افتتح هذه بالإشارة إلى التقوى، والتزام الأنفس بها، تنبيهاً على عظمة الأحكام الواردة في هذه السورة، فإنها مبنية على الأسماء الأربعة التي في آخر تلك[4].

وأوضح الإمام السيوطي أنه لما وقع في آخر التغابن ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن 14)، ولما كانت عداوة الأزواج تفضي إلى الطلاق، وعداوة الأولاد تفضي إلى القسوة وترك الإنفاق، جاء في هذه بذكر أحكام الطلاق، والإنفاق على الأولاد والمطلقات بسببهم[5].

وتابع الإمام الآلوسي الوجه الذي ذكره الإمام السيوطي[6].

وأوضح الإمام المراغي أن السورة السابقة لما أخبرت أن من الأزواج والأولاد من هم أعداء لنا، وأن هذه العداوة قد تفضي إلى الطلاق، أرشد في هذه إلى أحكام الطلاق والانفصال[7].

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص189.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص195.

[3] ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص312.

[4] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص139، **مصاعد النظر**، ج3، ص95.

[5] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص126.

[6] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص324.

[7] ينظر: **تفسير المراغي**، ج28، ص133.

وأشار الشيخ الغماري إلى المناسبة ببيان أنه لما قال في السابقة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن 16)، فكان الأمر بالتقوى والسمع والطاعة تمهيداً لتلقي أحكام الطلاق والعدة والنفقة والإرضاع، وسميت بحدود الله وتخللها الأمر بالتقوى عدة مرات؛ نظراً لأهميتها، وأن من تجاوزها فقد ظلم نفسه، وتعدى حدود الله[1].

أما الهرري وبعد إيراده لكلام المراغي، أتى بكلام أبي حيان فيقول أنه لما ذكر في تلك فتنة المال والولد "إنما أموالكم وأولادكم فتنة" أشار في هذه إلى فتنة النساء التي لا خلاص منها إلا بالطلاق، فبين أحكام الطلاق[2].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال ما سبق نجد أن الإمام الرازي ربط الأحكام الواردة في هذه السورة بالأسماء الحسنى التي وردت في آخر تلك، وقد أحسن الإمام الغرناطي في الإشارة إلى ذكر فتنة الأموال والأولاد في سورة المنافقون، ثم جاءت في التغابن، ولما كان الخلاص منها قد لا يكون إلا بالطلاق، ذكر هنا أحكام الطلاق، كما أحسن في بيان اتصال تلك الأمور بقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق:1) التي تشير إلى عدم قطع المعروف مهما كان الأمر.

وأما وجه المناسبة الإمام أبي حيان ففي ذكر فتنة المال والأولاد في آخر السورة المتقدمة، وفتنة النساء في هذه، لكن يمكن أن يقول قائل أن هناك ذكر لفتنة النساء أيضاً ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾(التغابن:14)، لذا الوجه الذي عليه غالبية المفسرين أوضح من أن تلك العداوة والفتنة إذا أدت إلى الطلاق فهذه أحكامها.

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص123-124.

[2] ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج29، ص398.

أشار الشيخ الغماري إلى وجه لطيف، وهو ربطه الأحكام التي احتوت عليها سورة الطلاق بتقوى الله والسمع والطاعة في آخر التغابن وذكر أن هذا تمهيد لتلقي تلك الأحكام بالرضا والاستسلام.

ولي هنا إضافة وهي أن فتنة المال والولد مذكورة في سورتي المنافقون التغابن، ثم أتبعها بسورة الطلاق في حال لو أفضى ذلك إلى الطلاق، لكن السؤال هو: هل بالضرورة الخلاص منها يكون بالطلاق؟ الجواب: بالطبع لا، فهناك سبل أخرى للخلاص من هذه الفتن بينتها الآيات نفسها، كيف ذلك؟! نجد في سورة المنافقون أن فتنتهم تتعلق في الإعراض عن ذكر الله التي من نتائجها زيادة الإقبال على الدنيا، ونسيان الآخرة، وهذا يترتب عليه الخسارة الدنيوية والأخروية " فأولئك هم الخاسرون"، وذكر بعدها أن طريقة الخلاص منها يكون بالإنفاق والصلاح ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(المنافقون:10)، وأما في سورة التغابن فالفتنة تتعلق بالعداوات بسبب الخلافات، وبين بعدها أن النجاة منها يكون بالعفو والصفح والمغفرة ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ﴾(التغابن:14)، إذن فالآيات نفسها تبين كل فتنة، وطريقة الخلاص منها في أبهى صورة، هذا ما ظهر لي والله أعلم.

وقد تبين لي وجه في المناسبة أنه لما ختم السورة السابقة بذكر صفة "الحكمة" التي هي وضع الشيء في موضعه، فالموصوف بالحكمة لا يدع معاملة للناس إلا ويبينها أحسن البيان، أتبع في هذه بذكر أحكام الطلاق والنساء، وأن تلك الأحكام هي وفق ما تقتضيه الحكمة، وتترتب عليه المصلحة الدينية والدنيوية.

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة التحريم وخاتمة سورة الطلاق

خاتمة سورة الطلاق:

قال الله تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: 11-12].

فاتحة سورة التحريم:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحريم: 1-2].

أولًا: التعريف بسورة التحريم

سورة التحريم مدنية، عدد آياتها اثنتا عشرة آية بإجماع أهل العدد، وتعد الخامسة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة[1].

وتعرض هذه السورة (صفحة من الحياة البيتية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه! وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته صلى الله عليه وسلم، وفي حياة الجماعة المسلمة كذلك، ثم في التوجيهات العامة للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله وبين أزواجه)[2].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

بين الإمام الرازي وجه تعلق هذه السورة بسابقتها أن هناك ذكر للأحكام المخصوصة بالنساء، وهنا كذلك ذكر لأحكامهن. واشترك الخطاب بالطلاق في أول تلك سورة، وهنا الخطاب بالتحريم في أول السورة لما كان الطلاق مشتملا على تحريم ما أحل الله. ثم يذكر علاقة فاتحة سورة التحريم بخاتمة سورة الطلاق أن في آخر تلك تذكير بعظمة حضرة الله تعالى، وكمال علمه وقدرته لما في خلق السماوات والأرض من العجائب الغرائب، وعظمة الحضرة مما ينافي القدرة على تحريم ما أحل الله، لذا قال هنا ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾(التحريم: 1)[3].

وأشار الإمام الغرناطي إلى شدة اتصال هذه السورة بسورة الطلاق لتقارب معناهما واتحاد مرماهما، ثم ذكر قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نسائه شهرا[4].

وبين الإمام أبو حيان التناسب من أن هناك ذكر لأحكام نساء المؤمنين، وهنا ذكر ما جرى من بعض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم[5].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير التنوير**، ج28، ص345-346.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3610

[3] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج10، ص568.

[4] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص190.

[5] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص207.

وأظهر الإمام البقاعي التناسب ببيان أنه لما ختم الطلاق بإحاطة علمه وتنزل أمره، دل عليه أول هذه بإعلاء أمور الخلق بحادثة وقعت بين خير خلقه وبين نسائه اللاتي هن خير نساء العالمين، واجتهد كلٌّ في إخفاء ذلك، فأظهره الله سبحانه عتاباً لأزواج نبيه صلى الله عليه وسلم في صورة عقابه؛ لأنه أبلغ رفقاً به، وفيه إيماء إلى تنبيه الغير وإسماعه إرادةً لتأديبه[1].

وبين الإمام السيوطي تآخي فاتحة هذه السورة بالتي قبلها بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم، وتلك مشتملة على طلاق النساء، وهذه على تحريم الإيلاء. وكذا في تلك خصاما لنساء الأمة، وفي هذه خصومة نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وانفرد بذكرهن هنا تعظيماً لشأنهن ورفعا لمقامهن أن يذكرن مع سائر النسوة، فأفردن بسورة خاصة، ولذا ختمت بذكر امرأتين في الجنة، امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران[2].

واكتفى الإمام الآلوسي بأوجه المناسبة التي أوردها الإمام السيوطي[3].

وذكر الإمام المراغي في مناسبتها لما قبلها وجوهاً من أن سورة الطلاق فيها حسن معاشرة النساء، وهذه فيها ما حصل منهن مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ تعليماً لأمته أن يحذروا أمر النساء، ومعاملتهن بسياسة اللين كما عاملهن النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً أشار إلى ما ذكره الإمام السيوطي من اشتراك السورتين في الافتتاح بالخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم، والفصل بين نساء الأمة ونساء النبي صلى الله عليه وسلم[4].

وبين الشيخ الغماري وجه تعلقها بالتي قبلها أن في السابقة ذكر أحكام الطلاق وما يتبعها، وهنا ذكر حكم تحريم الرجل وسريته على نفسه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم مارية على نفسه إرضاءً لحفصة -رضي الله عنهن جميعاً- فأنزل الله الآيات التي في أول

---

[1] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص179-180.

[2] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص126.

[3] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج14، ص341.

[4] ينظر: **تفسير المراغي**، ج28، ص154.

التحريم. وذكر أيضاً وجه تآخي السورتين في الافتتاح[1]. ونقل الهرري كلام الإمام المراغي كعادته ثم عقب بكلام الإمام أبي حيان[2].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال ما سبق، وبعد سرد الأقوال ودراستها نجد أن الإمام الرازي –كعادته في إبراز المناسبة بين الفاتحة والخاتمة– أورد المناسبة بين خاتمة سورة الطلاق وأول سورة التحريم من الإشارة إلى عظمة حضرة الله تعالى، وأن هذه العظمة تنافي القدرة على تحريم ما أحل الله، وإن التجرؤ على ذلك لأمر عظيم وليس بالهين. كما أشار الأئمة الغرناطي وأبو حيان والبقاعي إلى الرابطة بين موضوعات السورتين، وتقارب معناهما، لاشتمالهما على ذكر أحكام النساء.

وأبدع الإمام السيوطي في ذكر وجوه عدة، منها الإشارة إلى أن المخاطب في افتتاحهما واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضا في اشتمال الأولى على أحكام الطلاق والثانية على أحكام الإيلاء، ثم أبدع في ذكر الفرق بينهن وبين نساء الأمة، وهو السبب في انفراد الثانية بذكر نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع نساء الجنة من دون نساء الأمة، وهذه لفتة عظيمة لما فيها من تعظيم شأن أمهات المؤمنين، وبيان منزلتهن.

وأحسن الإمام المراغي في الإشارة إلى أن السورة السابقة فيها حسن معاشرة النساء، وهذه فيها ما حصل منهن مع النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها التحذير من أمرهن، ومعاملتهن بسياسة اللين، كما عاملهن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وظهر لي وجه في المناسبة أنه قال في آخر سورة الطلاق ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ والمقصود بالأمر هو (الوحي) أو (الأحكام) كما عليه المفسرون، وعلى المعنيين تجد ما يناسبه في هذه السورة، فالمعنى الأول (الوحي) يناسبه إظهار الله لنبيه قول حفصة لعائشة لأنه كان بوحي، والمعنى الثاني (الأحكام) يناسبه المعاتبة على تحريم ما أحل الله، لأن له تعلق بالأحكام والله أعلم.

---

[1] – ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص124.

[2] – ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج29، ص452.

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة الملك وخاتمة سورة التحريم

خاتمة سورة التحريم:

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: 11-12].

فاتحة سورة الملك:

قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥﴾ [الملك: 1-5].

أولًا: التعريف بسورة الملك

سورة الملك سورة مكية، من أسمائها "المنجية" لأنها تنجي صاحبها من عذاب القبر، وتسمى كذلك "المجادلة" لأنها تجادل عن قارئها في القبر، وتعد السادسة والسبعون في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة المؤمنين، وقبل سورة الحاقة، عدد آيها إحدى وثلاثين.

من فضائلها أنها تشفع لصاحبها يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سور تبارك الذي بيده الملك، ومن أغراضها بيان عظمة الله تعالى، وتفرده بالملك، والنظر في دلائله، والتأمل في ملكوته سبحانه[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

بين الإمام الغرناطي تعلق هذه السورة بسابقتها بأن سورة التحريم فيها أعظم عظة، وأعلى آية، في ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين صالحين، بعثهما الله تعالى رحمة بعباده، فحرمهما الاستنارة بنورهما، مع أنهما كانا من أقرب الناس إليهما مع ذلك لم يغنيا عنهما من الله شيئا، ثم أعقب هذه القصة بذكر حالة نقيضة وهي ذكر امرأة فرعون التي لم يضرها صاحبها، فحصل في هاتين القصتين تقديم سبب رحمة حرم التمسك بها أولى الناس في الظاهر، وتقديم سبب امتحان سلم منه أقرب الناس إلى التورط فيه، أعقب ذلك بقصة عريت من هذين السببين وهي قصة مريم ابنة عمران، ليعلم العاقل حيث يضع الأسباب، وأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء، فلما كان الأمر كذلك بدأ هذه بقوله سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾(الملك:1)، فالذي بيده الملك هو الذي يؤتي فضله من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الأمر كله[2].

---

[1] - ينظر: الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ت: عبد الجليل عبده شلبي، ن: عالم الكتب – بيروت، ط:1 1408 هـ - 1988م، ج5، ص197.

ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص5-7. وينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج30، ص577.

[2] - ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص190.

وأوضح الإمام أبو حيان أنه (لما ضرب للكفار بتينك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة، وإن كانتا تحت نبيين، ومثلا للمؤمنين بآسية ومريم، وهما محتوم لهما بالجنة، وإن كان قوماهما كافرين، كان ذلك تصرفا في ملكه على ما سبق قضاؤه)[1].

وذكر الإمام البقاعي أن السورة السابقة لما ختمت بذكر من أعرض عنه سبحانه أهلكه ولم يغن عنه أحد، ومن أقبل عليه رفعه واستخلصه ولم يضره أحد، وختم بذكر مريم ابنة عمران وأنه قواها ورزقها الإخلاص، وهذا الفعل لا يقدر عليه إلا من لا شبيه ولا نظير له، فيكون هو أهلاً للعبادة، لأنه يملك الملك كله، وهو على كل شيء قدير[2].

ومن زاوية مقاربة بين الإمام السيوطي أنه لما ختم في آخر التحريم بذكر امرأتين كافرتين، امرأة نوح وامرأة لوط، وامرأة مؤمنة وهي امرأة فرعون، افتتحت هذه بقوله ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾(الملك:2)، مراداً بهما الكفر والإيمان في أحد الأقوال؛ للإشارة إلى أن جميع خلقه تحت قدرته، ولذا كفرتا ولم ينفعهما اتصالهما بهذين النبيين، وآمنت امرأة فرعون ولم يضرها زوجها الجبار العنيد. وظهر له وجه آخر وهو أن أول "تبارك" متصل بآخر الطلاق ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾فزاد ذلك بسطاً في هذه السورة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ (الملك:3)، إلى قوله "﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾(الملك:5)، وفصلت بسورة التحريم لأنها كالتتمة لسورة الطلاق[3].

وذكر الإمام الآلوسي الوجه الذي أورده الإمام أبو حيان[4].

كما أشار الإمام المراغي إلى الوجه الذي سبق من ربط الأشقياء والسعداء ببيان أن الذي بيده الملك يتصرف فيه على وفق قضائه[5].

---

[1] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص220.

[2] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص216-217.

[3] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص127.

[4] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص3.

[5] ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص3.

وأورد الشيخ الغماري وجهين في المناسبة، الأول أنه بين في السورة السابقة أن القرابة من الرسول لا تمنع من دخول النار إذا استوجبها بكفره، وذكر قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ﴾ (التحريم:10)، بين في هذه أن الذي يوجب دخول النار هو تكذيب الرسول ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ ﴾(الملك:9)، ويؤخذ من هذه الآيات أن خيانة امرأة نوح وامرأة لوط هي تكذيب لزوجيهما لا لشيء آخر.

والثاني أن تلك لما ختمت بقوله ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ (التحريم:12)، افتتحت هذه بالثناء على الله تعالى بإثبات كماله وعموم قدرته رداً لما يدعونه النصارى في مريم من تجسد الله بها، وبياناً بأن حملها بنفخ جبريل فيها أثر من آثار قدرته، لذلك بدأ فقال: "﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾(الملك:1)، فالذي بيده الملك يستحيل اتصاله ببعض مخلوقاته بتجسد أول حلول أو اتحاد، وأيضاً "الذي خلق الموت والحياة" يستحيل اتصاله بمن هو عرضة للموت في كل لحظة[1].

وبين صاحب الأساس في التفسير المناسبة فيقول: (سورة التحريم انتهت بمثلين لكافرتين، ومؤمنتين، وسورة الملك تأتي لتقيم الحجة على الكفر وأهله)[2].

وذكر الهرري الوجه الذي أورده المراغي، ومن قبله السيوطي، وأبو حيان، والغرناطي[3].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

لاحظنا أن الإمام الرازي ليس له حديث عن المناسبة في هذه السورة.

ومن خلال التأمل في أقوال المفسرين نجد أنهم مجمعون على ذكر الوجه الذي يربط قصة المرأتين الكافرتين، والمرأة المؤمنة، بفاتحة هذه ببيان قدرة المولى سبحانه، وقدرته على فعل ما يشاء، والتصرف في ملكه كيف يشاء، فهو يعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويهدي ويضل، وفق

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص124-125.

[2] سعيد حوّى (المتوفى 1409هـ)، **الأساس في التفسير**، ن: دار السلام – القاهرة، ط:6، 1424هـ، ج10، ص6023.

[3] ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص5.

قضائه وقدره، وعلمه المسبق بفعل العبد واختياره طريق الهدى أو الضلال بمحض إرادته، والمولى سبحانه عَلِمَ هذا فكتب ذلك عنده، وتلك الكتابة لا تؤثر في اختيار العبد في شيء. ولا يخفى أن هذا الوجه من أبين وأوضح وجوه التناسب.

والوجه الثاني الذي ذكره الإمام السيوطي في اتصال هذه السورة بسورة الطلاق؛ فلا يمكننا إنكاره، إلا أن الوجه الأول أولى وأظهر، والله أعلم.

كما أبدع الشيخ الغماري في الإتيان بوجوه أخرى للمناسبة كإشارته إلى خيانة المرأتين وأن هذه الخيانة هي تكذيبهما لزوجيهما لا لشيء آخر، لأن الخيانة بمعنى الفاحشة لا يمكن أن تحصل في بيت النبوة. وأحسن كذلك في ربطه بين خاتمة السورة السابقة التي ختمت بذكر تصديق مريم ابنة عمران بكلمات الله وكتبه وكانت من القانتين أي مقرة بعبوديته، وبدء هذه بالثناء على الله تنزيها لما تدعيه اليهود والنصارى من اعتقاداتهم الباطلة، وإبطال كل ذلك بذكر الملك والقدرة، وبيان أنه خلق الموت والحياة، وهو على كل شيء قدير، لا يحتاج إلى أحد، ويحتاجه كل أحد. وهي من صور التناسب بين الفاتحة والخاتمة والله أعلم.

وظهر لي وجه في التناسب أنه ختم السورة السابقة بذكر امرأتين من أهل النار (امرأة نوح وامرأة لوط)، وامرأتين من أهل الجنة (امرأة فرعون ومريم ابنة امران)، وهو تمثيل للصفتين المذكورتين في أول هذه وهما "العزيز" و "الغفور"، أي عزيز في انتقامه ممن عصاه، وغفور لمن تاب وأناب.

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة القلم وخاتمة سورة الملك

خاتمة سورة الملك:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: 28-30].

فاتحة سورة القلم:

قال الله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ [القلم: 1-7].

أولًا: التعريف بسورة القلم

سورة القلم مكية، وروي عن بعضهم أن بعضها مكي، والآخر مدني، وهذه السورة هي السورة الثانية نزولا عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة اقرأ، ونزل بعدها سورة المزمل ثم سورة المدثر، والأصح أن سورة المدثر هي الثانية نزولاً. ومعظم هذه السورة نزلت في أبي جهل، والوليد ابن المغيرة، وعدد آيها ثنتان وخمسون آية[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

أبرز الإمام الغرناطي وجه اتصال هذه السورة بسورة الملك ببيان أن تلك تضمنت عظيم البراهين التي تعجز العقول من استيفاء الاعتبار ببعضها كخلق السماوات والأرض، ومساحات أقطارها، ومقادير أجرامها، بميزان دقيق ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ (الملك:3)، ثم قال ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾(الملك:3) دفعا للريب وإزاحة للإشكال، كي لا تبقى في ذلك شبهة، ثم ذكر دلالات أخرى كقوله ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾(الملك:5) إلى أن قال ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(الملك:14) إلى آخر السورة، وأدناها كافٍ في الاعتبار، ولعظيم ما انطوت عليه هذه السورة من البراهين؛ أتبعت بتنزيه الآتي به –صلى الله عليه وسلم– مما تقوَّل عليه المبطلون، مقسماً على ذلك زيادة في التعظيم، وتأكيداً في التعزيز والتكريم فقال:﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، وهذه الآية جواباً لما جاء في آخر السورة ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾(القلم:51)، فما تضمنته سورة الملك من الدلائل والبراهين العظيمة شاهد قاطع لكل عاقل منصف بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم[2].

---

[1] ينظر، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ن: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:2، 1384هـ - 1964م، ج18، ص222. وينظر: السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ت: أحمد محمد الخراط، ن: دار القلم، دمشق، د.ط، د.س، ج10، ص397. وينظر كذلك: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 29، ص58.

[2] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص191.

وأشار الإمام أبو حيان إلى وجه قريب مما ذكره الإمام الغرناطي فقال: "أنه فيما قبلها ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم أو لأرسل عليهم حاصبا. وكان ما أخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي، وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر، ومرة إلى السحر، ومرة إلى الجنون فبدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم، وبالثناء على خلقه العظيم"[1].

وذكر الإمام البقاعي أن مقصود هذه السورة هو إظهار ما ستر، وبيان ما أبهم في آية "فستعلمون من هو في ضلال مبين" ويظهر تناسب هذه السورة بسابقتها أنه في تلك لما أبهم الضال والمهتدي، والمسيء والمحسن في العمل أولها، وختم بآية الماء المعين التي دلت حروفه بمجموعها على تمام معناه، كل هذا دل على شمول قدرته بكمال علمه بما أفاده على النبي الكريم من العلوم وبحار المعرفة، افتتح هذه السورة بآخر حروف تلك وهو حرف النون، الذي يحمل من الأسرار ما لا يعلمه إلا هو[2].

ووجه الاتصال عند الإمام السيوطي أن في آخر السابقة التهديد بتغوير الماء، ثم استظهر عليه في هذه السورة بإذهاب ثمر أصحاب البستان بطائف طاف عليه ليلاً، فأصبحوا لم يجدوا له أثراً، وإذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة، فالماء الذي هو لطيف رقيق أقرب إلى الإذهاب، ولهذا قال: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (القلم:20) وقال هناك ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾(الملك:30)، إشارة إلى أنه يسري عليه في ليلة كما سرى على الثمرة في ليلة[3].

وأشار الإمام الآلوسي إلى المناسبة ببيان ختم تلك بالوعيد، وافتتاح هذه بالوعيد، ثم نقل كلام الإمام أبي حيان والإمام السيوطي[4].

---

[1] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص234.

[2] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص272-274، **مصاعد النظر**، ج3، ص111.

[3] ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص128.

[4] - ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص26.

وأما الإمام المراغي فذكر وجهين في المناسبة: الأول أن سورة الملك ختمت بتهديد المشركين بتغوير الماء في الأرض، وذكر هنا قصة البستان كدليل على ذلك. والثاني أن الأحوال التي ذكرها في الملك هي مما أوحى إلى نبيه فلما تلا عليهم اتهموه بالسحر والجنون، بدأ هذه بتنزيهه عن ذلك، وعظم أجر صبره على أذاهم[1].

ووجه التناسب عند الشيخ الغماري أن في السابقة أشار إلى اتهام الكفار للنبي عليه السلام بالضلال، فأخبره أن يقول لهم "﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(الملك:29)، وبدأت هذه بنفي ما رموه به نفياً صريحاً فقال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾(القلم:2)[2]. وأضاف مناسبة أخرى وهي أن الله وجه خطاباً إلى الكفار في السورة السابقة إن هو حبس رزقهم عنهم- فمن يرزقهم ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾(الملك:21)، ، فأخبر في هذه أنه امتحنهم بالقحط كما امتحن الذين من قبلهم ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ... فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾الآيات(17-20)[3].

وذكرت بنت الشاطئ المناسبة التي ساقها الإمام أبو حيان[4].

كما ساق الهرري كلام المراغي والأوجه التي ذكرها[5].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

اشترك عدد من الأئمة كالإمام الغرناطي وغيره في بيان الوجه الذي يذكر أن الإخبار بالدلائل والبراهين العظيمة التي في سورة الملك كانت عن طريق الوحي الذي نزل على نبيه

---

[1] - ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص26.

[2] - ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص127.

[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص128

[4] - بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: 1419هـ)، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ن: دار المعارف -القاهرة، ط:7، د.س، ج2، 39.

[5] - ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص74-75.

صلى الله عليه وسلم من عند ربه، فبلغ أمته، فحصل منهم ما حصل من الإعراض، واتهموه بالسحر والجنون، فبدأ هذه بتنزيه نبيه عليه السلام من كل ذلك.

تفرد الإمام البقاعي في الوجه الذي ذكره من إبهام المهتدي والضال هناك، وبدء هذه بحرف النون الجامع للأسرار، "وهي الدواة التي كتب الذكر منها، والقلم الذي كتب به الذكر الحكيم"[1]، وبتنزيه نبيه عما يقوله الضالون. وكأنه يقصد أن يقول –والله أعلم– أنه بين في هذه من هو المهتدي ومن هو الضال، بعد ما أبهم هناك، وذلك بالثناء على نبيه ورفع شأنه عليه السلام، وبيان ضلال المكذبين، وقبح أفعالهم محذراً نبيه منهم، وهذا من تمام المناسبة.

ووجه الاتصال عند الإمام السيوطي كان بذكر تغوير الماء وقصة أصحاب البستان وهو لاشك من صور التناسب.

وقد أحسن الإمام الآلوسي في بيان اشتراك الفاتحة والخاتمة في التهديد. ثم ذكر توجيه الإمام أبي حيان.

آخر الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين.

---

[1] ذكره التستري ونسبه إلى ابن عباس، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، **تفسير التستري**، ت: محمد باسل عيون السود، ن: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1 - 1423 هـ، ج1، ص174.

الفصل الثالث: التناسب بين فواتح السور وخواتم من قبلها من سورة الحاقة إلى سورة المرسلات.

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الحاقة وخاتمة سورة القلم.

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة المعارج وخاتمة سورة الحاقة.

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة نوح وخاتمة سورة المعارج.

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة الجن وخاتمة سورة نوح.

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة المزمل وخاتمة سورة الجن.

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة المدثر وخاتمة سورة المزمل.

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة القيامة وخاتمة سورة المدثر.

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة الإنسان وخاتمة سورة القيامة.

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة المرسلات وخاتمة سورة الإنسان.

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة سورة الحاقة وخاتمة سورة القلم

خاتمة سورة القلم:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢ ﴾ [القلم: 48-52].

فاتحة سورة الحاقة:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧ ﴾ [الحاقة: 1-7].

أولًا: التعريف بسورة الحاقة

مكية باتفاق، والحاقة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لأنها تحقق لكل عامل عمله للمؤمن إيمانه وللمنافق نفاقه، (وقال بعضهم: الحاقة هي النار التي لا ترتفع أبدا، وهو ما ينزل بالخلق من الجزاء وأنواع ما وعدوا به يوم القيامة. وقيل: هي الواجبة مثل قوله: (وحاق بهم)، أي: وجب، ونزل بهم. والأصل أن القيامة سميت بالأحوال التي يبتلى الخلق بها فيها؛ من نحو: القارعة، والواقعة، والتناد، والطامة، والصاخة، ونحو ذلك مما جاء في القرآن، أخذت أسماؤها من أحوال ما يبتلى الخلق بها)[1].

نزلت السورة في السنة الخامسة قبل الهجرة، وعدت السابعة والسبعين في عداد ترتيب النزول، نزلت بعد سورة تبارك وقبل سورة المعارج، واتفق العادون على أنها إحدى وخمسين آية. من أغراضها تهويل يوم القيامة، وتهديد المكذبين بوقوعه، وتذكيرهم بما حل بالأمم السابقة، وبيان نجاة المؤمنين، وتنزيه الله وتنزيه رسوله عما يقوله المتقولون، وتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

بين الإمام الغرناطي وجه تعلق هذه السورة بسورة "ن والقلم" أن تلك جاء فيها تقريع المشركين وتوبيخهم وتنزيه النبي من شنيع قولهم، وبيان حسدهم وعداوتهم ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ (القلم:51)، وأتبعت بسورة الحاقة وعيداً لهم، وبيان أن حالهم قد سبق إليه غيرهم كقوم عاد وثمود ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ.. فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾(الحاقة4-8)،

---

[1] الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، **تفسير الماتريدي**، ت: مجدي باسلوم، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط:1، 1426 هـ - 2005 م، ج10، ص163.

[2] ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ن: دار الفكر – بيروت، د.ط، د.ت، ج8، ص264. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص111.

والسورة فيها اتعاظ لمن رزق التوفيق "﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾(الحاقة: 12)، ثم عاد الكلام في آخرها إلى ما بنيت عليه سورة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ (القلم:1) من تنزيه النبي وتكريمه[1].

وقال صاحب البحر: (أنه لما ذكر شيئا من أحوال السعداء والأشقياء، وقال: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ (القلم:44) ذكر حديث القيامة وما أعد الله تعالى لأهل السعادة وأهل الشقاوة)[2].

وذكر الإمام البقاعي التناسب من أن الأولى فيها ذكر القيامة وكشف الساق وزيادة المشاق يومها، وهدد بآية الاستدراج، وختم بأن القرآن ذكر وتذكير ومواعظ للعالمين، أتبع في هذه بوصف القيامة محذراً من أمرها، فقال: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾(الحاقة:1) أي الساعة التي يكذب بها هؤلاء[3].

أما الإمام السيوطي فقد اكتفى في بيان مناسبتها لما قبلها بأن في الأولى جاء ذكر القيامة مجملاً، وفي هذه شرح نبأ ذلك اليوم وشأنه العظيم[4].

وأضاف الإمام الآلوسي بعد أن نقل وجه الإمام السيوطي أن في سورة الحاقة ذكر لأحوال الأمم المكذبة ليزدجر المكذبون المعاصرون له عليه السلام[5].

وأورد الإمام المراغي وجهين في المناسبة، الأول مجيء حديث القيامة مجملا في القلم، ومفصلا هنا في الحاقة. والثاني هناك ذكر من كذب بالقرآن وما توعده به، وهنا ذكر أحوال الأمم المكذبة وما حل عليهم، ليزدجر المكذبون المعاصرون له عليه الصلاة والسلام[6].

---

[1] – ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص194.

[2] – أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص254.

[3] – ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص337-338.

[4] – ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص128.

[5] – ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص45-46.

[6] –ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص49.

وبين الشيخ الغماري توعد الله في السورة السابقة للمكذبين بالقرآن ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ .. .إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾[القلم: 44-45]، وختم هذه بدعاويهم في القرآن، وبيان أنه من عنده، "﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ.. ﴾ إلى آخر السورة[1].

واعتمد الهرري على الإمام المراغي، والإمام أبي حيان[2].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال التأمل في أقوال المفسرين نجد أنهم مذاهب، فالإمامان الغرناطي وأبو حيان جعلا هذه السورة بمثابة الوعيد الذي ينتظرهم جراء تقولهم على الرسول، وحقدهم وحسدهم للمؤمنين، فهددهم بوقوع الحاقة مع بيان ما حل بالأمم المكذبة قبلهم للعظة والاعتبار، وهذا وجه في التناسب. وأما البقاعي والسيوطي -تبعهم في ذلك من جاء بعدهم- فأشارا إلى أن السورتين فيهما حديث عن القيامة، لكن بشكل مجمل في الأولى، وبشيء من التفصيل في الثانية، وهو كذلك وجه للتناسب.

وقد ظهر لي وجهان في التناسب:

١- أن السورة السابقة لما ختمت ببيان أن القرآن من عند الله، وأن مبلغه ليس بمجنون، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾نفى في آخر هذه أن يكون هذا بقول شاعر أو كاهن، بل أكد أنه "﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الحاقة:43).

٢- جاء في آخر سورة القلم قوله تعالى ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾(القلم: 45)، وقال في أول هذه ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى مهما أمهلهم وأطال لهم في المدة فإنهم بعد ذلك لميتون ثم يوم القيامة يبعثون.

---

[1] - ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص128

[2] - ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص140.

المبحث الثاني: التناسب بين فاتحة سورة المعارج وخاتمة سورة الحاقة

خاتمة سورة الحاقة:

قال الله تعالى:﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة: 43-52].

فاتحة سورة المعارج:

قال الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾ [المعارج: 1-7].

أولًا: التعريف بسورة المعارج

سورة (المعارج) أو سورة (سأل سائل) أو سورة (الواقع) كل هذه أسماء لسورة المعارج، والأول هو المشهور لأنه أخف على اللسان، وهي مكية باتفاق، وتعد الثامنة والسبعين في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحاقة وقبل سورة النبأ، وعدد آيها أربع وأربعون. من أغراضها التهديد بعذاب يوم القيامة، ووصف وأحوال ذلك اليوم، وتهويل دار العذاب، ومقابلة كل ذلك بأعمال المؤمنين التي أوجبت لهم دار الكرامة. وفيه أيضا تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته على ما يلقاه من المشركين، وتحذير المشركين من استبدالهم بمن هو خيرٌ منهم[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

ذكر الإمام الغرناطي وجه تناسب هذه السورة بسورة الحاقة بأن تلك اشتملت على أشد الوعيد وأعظمه، وأتبع في هذه بجواب من استبطأ ذلك واستبعده، وعاند وتكبر، فقال سبحانه: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج:1) إلى أن قال: ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ (المعارج:7)، ثم ذكر حالهم يومئذ ﴿.يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى ﴾(المعارج:11) " إلى قوله "..﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾(المعارج:14) ، ثم أتبع بأن ذلك لا يغني عنه ولا يفيده، ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾(المعارج:15)، وختمها بتأكيد الوعيد والتهديد ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ (المعارج:42) إلى آخر السورة[2].

وقال الإمام أبو حيان: (أنه لما ذكر وإنا لنعلم أن منكم مكذبين، أخبر عن ما صدر عن بعض المكذبين بنقم الله، وإن كان السائل نوحا عليه السلام، أو الرسول صلى الله عليه وسلم، فناسب تكذيب المكذبين أن دعا عليهم رسولهم حتى يصابوا فيعرفوا صدق ما جاءهم به)[3].

---

[1] ينظر: النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ)، **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، ت:حنيف بن حسن القاسمي، ن: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط:1 - 1415 هـ، ج2، ص837. وينظر، ابن عاشور، **التحرير التنوير**، ج29، ص153.

[2] – ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص195.

[3] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10،ص 271.

واستدل الإمام البقاعي على وجوب وقوعها بتسمية السورة السابقة بالحاقة تنبيهاً على أنه لابد منها، ولا محيد عنها، وأن علاقة الفاتحة بسابقتها لما ختم أمر الساعة في الحاقة حتى ثبت أمره، وزال اللبس في وجوب التفرقة في الحكمة بين المحسن والمسيء، وأخبر أنه يعلم أن منهم مكذبين، بعد هذا جاء سؤال السائل، وهذا يدل على أنه لم يفهمه حق فهمه، ولا أدرك حقيقة وقوعه، لذا قال في أول هذه "﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ متعجباً من هذا السائل، ودل هذا على أنه لو لم يسأل عنها إلا واحدا لكان جديراً بالتعجب منه والإنكار عليه[1].

وقد أجمع السيوطي والآلوسي والمراغي والهرري على ذكر المناسبة التي تبين أن هذه تتمة لما جاء في سورة الحاقة من وصف القيامة، وعذاب النار، ولذا نزلت عقيبها[2].

أما الإمام الغماري فأشار إلى أن السورة السابقة ترد على دعاوى المكذبين بالقرآن، وافتتحت هذه بالإخبار عن العذاب الواقع، حين دعا داع –كما ورد في سبب نزولها– عن ابن عباس رضي الله عنه أن النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا القرآن الذي يقرؤه محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم[3].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

وجوه الإمامين الغرناطي والبقاعي في التناسب متقاربة، فالأول ربط الوعيد الذي تضمنته السورة السابقة بمجيء الرد في هذه بوقوعه على من استبعد ذلك واستنكره، وبيان أنه لا يدفعه شيء إذا وقع.

---

[1] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص385-389، **مصاعد النظر**، ج3، ص118-121.

[2] ينظر كلا من:

- السيوطي، **تناسق الدرر**، ص128.
- الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص62.
- **تفسير المراغي**، ج29، ص65.
- الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص198.

[3] – ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص128.

ومناسبة الإمام أبي حيان بين الفاتحة والخاتمة يستقيم على المعنيين، سواء أكان المقصود بالسائل هو النبي صلى الله عليه وسلم أو نوح عليه السلام فتكون المناسبة في ذكر المكذبين هنا، ودعائه عليهم هناك، أو كان المقصود بالسائل هو منكر من المنكرين، فتكون المناسبة في ذكر المكذبين في الموضعين.

كما وجَّه الإمام البقاعي سبب تسمية السورة السابقة بالحاقة لأنه يتحقق فيها ما أنكروه، وأخبرهم في هذه بأنه واقع لا محالة، وهذان وجهان للتناسب يتعلقان بتناسب السورة السابقة بفاتحة هذه السورة.

ويرى مجموعة من المفسرين كالسيوطي وغيره أن هذه تكملة لوصف القيامة، والعذاب المشار إليه في السابقة، وهذه من المناسبات الظاهرة بين السورتين.

ربط الوجه الذي أورده الإمام الغماري بأن هذه فيه الإخبار بأن العذاب واقع لا محالة، بعد أن ردت السورة السابقة على دعاويهم الكاذبة هو وجه حسن.

بعض الوجوه التي ظهرت لي في التناسب:

١- أنه ذكر في آخر السورة السابقة من يكذب بالقرآن ﴿وإنّا لَنَعْلَمُ أنَّ مِنكم مُكَذِّبِينَ﴾، وبدأ هنا بسؤال ذلك السائل المكذب بعذاب الله الذي أخبر القرآن بوقوعه وبين أنه معد للكافرين وأنه لا دافع له إذا أراد الله كونه.

٢- أنه ذكر في آخر السورة السابقة بأن القرآن حسرة على الكافرين وذلك حين يقع العذاب الذي لا دافع له الذي أخبر به فيكون حسرة عليهم من هذا الوجه، ويحتمل أن يكون حسرة عليهم من جهة أنه لا يزيد الظالمين إلا خساراً.

٣- أنه ذكر في السابقة أن هذا القرآن حق اليقين، ودونه عين اليقين، ودونه علم اليقين، فالذي أخبر به من عذابٍ واقعٍ هو أمر لا ريب فيه ولا شك، وهو بمنزلة حق اليقين.

٤- أن آخر آية في السابقة فيها أمر بالتسبيح بذكر اسمه العظيم؛ تنزيهاً له عن الرضا بالتقوُّل عليه، وشكراً على ما أوحى إليه من القرآن، وجعله سبب نجاة المؤمنين من العذاب الواقع الذي لا يدفعه شيء المشار إليه في الثانية، والله أعلم وأحكم.

المبحث الثالث: التناسب بين فاتحة سورة نوح وخاتمة سورة المعارج

خاتمة سورة المعارج:

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾ [المعارج: 40-44].

فاتحة سورة نوح:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ [نوح: 1-4].

أولًا: التعريف بسورة نوح

مكية باتفاق، عدت الثالثة والسبعين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد نزول أربعين آية من سورة النحل وقبل سورة الطور، عدد آيها في العد المدني ثلاثون، وفي العد البصري تسعاً وعشرون، وفي العد الكوفي ثماناً وعشرون. من مقاصدها ضرب المثل للمشركين بقوم نوح عليه السلام الذين سلط الله عليهم الطوفان. وتمثيل حال النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه بحالهم. "ولم يذكر الله في هذه السورة سوى قصة نوح وحدها لطول لبثه في قومه، وتكرار دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك"[1]، تخلل ذلك وعد المطيعين بسعة الأرزاق في المال والبنين[2].

ثانيًا: التناسب عند المفسرين

ذكر الإمام الغرناطي أن هذه السورة هي تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بالصبر في السابقة، ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾وبالإغضاء ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾ليتأسى بنوح في الصبر والرفق في الدعاء. ثم تمضي آي السورة في الإشارة إلى معاناة نوح عليه السلام مع قومه سنين طوال حتى أجاب الله فيهم دعاءه بعد أن يئس من فلاحهم[3].

وبين الإمام أبو حيان أنه تعالى لما قال في المعارج ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾، عقبه بقصة نوح المشتملة على إغراقهم، وتبديلهم بمن هو خيرٌ منهم، فحذر قريشاً من عذاب يستأصلهم إن لم يؤمنوا[4].

وقال الإمام النيسابوري: "لما حذر الناس أهوال يوم القيامة ذكرهم قصة نوح"[5].

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ن: مؤسسة الرسالة، ط:1 1420هـ -2000م، ج1، ص888.

[2] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص186.

[3] ينظر: الغرناطي، **البرهان في ترتيب سور القرآن**، ص195.

[4] ينظر، أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص280.

[5] النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص362.

وأشار الإمام البقاعي إلى أنه لما ختم سورة المعارج بالإنذار للكفار بعذاب الدنيا والآخرة، أتبعه بذكر أعظم عذاب كان في الدنيا في تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام وقومه الذين كانوا أشد تمرداً من قريش، فلم ينفعهم ذلك في شيء عند حلول العذاب، وأشار كذلك إلى أن هذه السورة بمثابة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن أمره هناك بالصبر الجميل، وأن يذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الموعود[1].

أما الإمام السيوطي فأكثر ما ظهر له بعد طول تأمل هو وجه صاحب البحر. ثم ذكر أن مثال هذه في موقع الاستدلال لما جاء في آخر المعارج كقصة أصحاب الجنة في سورة القلم حين جاءت في موقع الاستدلال لما ختم به سورة تبارك. ونوه أيضاً إلى تآخي مطلع السورتين في ذكر العذاب الموعد به الكافرين[2].

كما أشار الإمام الآلوسي بعد إيراده لكلام الإمام السيوطي إلى تناسب هذه مع سابقتها على قول من زعم أن المقصود من السائل هناك هو نوح عليه السلام[3].

واعتمد الإمام المراغي على ما ذكره الإمام السيوطي[4]. وتابعهم الهرري[5].

وذكر الشيخ الغماري أنه لما ذكر في السورة السابقة حال الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستهزاءهم بالمؤمنين، وأمر نبيه بأن يتركهم في خوضهم ولعبهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، ذكر في هذه ما لاقى قوم نوح من الهلاك والعذاب حين كذبوا نبيهم "﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾فما حل بهؤلاء من العذاب سيحل بأولئك[6].

---

[1] – ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص422-424، **مصاعد النظر**، ج3، ص124.

[2] – ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص129.

[3] – ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص75.

[4] – ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص78.

[5] – ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص240.

[6] – ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص132.

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال تأمل أوجه المناسبة عند المفسرين نجد أن بعضهم كالغرناطي والبقاعي اتفقوا في إيراد المناسبة التي توضح أن هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن لاقى ما لاقى من تكذيب قومه به، فجاءت قصة نوح تسليةً للنبي صلى الله عليه وسلم، وتهديداً للمكذبين.

وأحسن الإمام أبو حيان في بيان أن سورة نوح استدلال واقعي لما في سورة المعارج ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ووافقه الإمام السيوطي في هذا الوجه، ثم أشار إلى تآخي السورتين في المطلع بذكر الوعيد للكافرين.

وبالنسبة للإضافة التي ذكرها الإمام الآلوسي فعلى تفسير من زعم أن المراد بالسائل هناك هو نوح عليه السلام تكون بمثابة استجابة دعائه عليهم بالعذاب الواقع، فأرسل عليهم الطوفان، على هذا المعنى تكون المناسبة ظاهرة.

وهذه السورة عند الشيخ الغماري بمثابة التهديد لتضمنه العذاب الذي حل بالمكذبين قبلهم، ليعلم كفار مكة أنهم إن لم يؤمنوا فسيحل بهم ما حل عليهم من العقاب، وسوء العذاب، وهو وجه كذلك في التناسب.

وقد توصلت إلى وجهين في التناسب:

١- أنه أقسم في السورة السابقة برب المشارق والمغارب القادر على إبدالهم بطريق الهلاك، وفي هذه ذكر لأمة عظيمة تمكنت في الأرض وهم قوم نوح عليه السلام، فدعا عليها نبيها بأن لا يذر على الأرض منهم أحداً، فأهلك من في المشارق والمغارب، وأبدلهم بمن هو خير منهم.

٢- أنه ذكر في آخر السورة السابقة اليوم الموعود، وفي أول هذه أمرٌ لنبيه نوحٌ عليه السلام بإنذار قومه من العذاب الأليم الذي ينتظرهم بمجرد الهلاك بالعذاب العاجل في الدنيا.

المبحث الرابع: التناسب بين فاتحة سورة الجن وخاتمة سورة نوح

خاتمة سورة نوح:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝٢٨﴾ [نوح: 26-28].

فاتحة سورة الجن:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ [الجن: 1-5].

أولًا: التعريف بسورة الجن

مكية باتفاق، نزلت في حدود سنة عشر من البعثة، وعدت السورة الأربعين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأعراف وقبل سورة يس، واتفق أهل العدد على عد آيها ثماناً وعشرين.

من أغراضها إثبات كرامة النبي صلى الله عليه وسلم ببلوغ دعوته للجن، فقد ضربوا مشارق الأرض ومغاربها حين حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فاستمعوا منه، وفهموا معاني القرآن، و ما يدعو إليه من التوحيد والهدى. وبينت كذلك أن منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وإبطال الكهانة وغير ذلك[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

أشار الإمام الغرناطي إلى مناسبة هذه السورة مع السور المتقدمة بأن سورة القلم فيها ذكر كفار قريش وتعاميهم عن النظر، وجريهم في اللدد والعناد، ثم أتبع في سورة الحاقة بوعيدهم، وفي سورة المعارج إلى قرب وقوعه، ثم جاءت سورة نوح تسلية وتأنيساً له عليه السلام، أعقب ذلك بسورة الجن التي تبين أن القلوب بيد الله، ففي الظاهر أن استجابة – من هو من جنسهم– وهم كفار قريش كانت أقرب إلى العقول، لكنهم ومع ظهور البراهين الواضحة، والدلائل القطعية على صحة نبوته، وعجزهم عن الإتيان بمثل حديثه، مع ذلك عموا وصموا، وسبق إلى الإيمان من هم ليس من جنسهم وهم الجن الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فصدقوا وآمنوا[2].

وذكر الإمام أبو حيان أن نوحاً عليه السلام لما كان أول الرسل إلى المخالفين، وكان قومه عباد أوثان، وعصوه أشد العصيان مع أنه كان منهم نسباً ولساناً، وختمت بدعائه

---

[1] ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج23، ص647. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص216-217.

[2] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص196.

عليهم، وكان نبينا عليه السلام هو خاتم النبيين، وكان قومه قد وافق حالهم حال قوم نوح عليه السلام في أكثر أحوالهم من الشرك وعبادة الأصنام، ابتدأت هذه ببيان سهولة سمع هذه الدعوة الخاتمة لخلق من غير جنسهم، مع قصر الزمان، وضعف الأعوان لجلالة هذا القرآن، فأمره بإخبار أمرهم، وفي هذا تبكيت للعرب على التباطؤ عن الإجابة، مع كون داعيهم من جنسهم، وكتابه بلسانهم[1].

وبين الإمام البقاعي المناسبة بإظهار شرف النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله ألان له قلوب الجن وهو في آخر الزمان، ولُبْثه في قومه دون العُشر من لبث نوح مع قومه ومع ذلك ما آمن معه إلا قليل[2]. وأورد مناسبة أخرى وهي التي ذكرها الإمام أبو حيان[3].

ولم يظهر للإمام السيوطي وجه اتصال سوى أنه قال في سورة نوح: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾(نوح 10-11)، وقال في هذه ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾(الجن:17)[4].

كما اكتفى الإمام الآلوسي بذكر ما أورده الإمام السيوطي، ثم ذكر قول الإمام أبي حيان [5].

وذكر الإمام المراغي ثلاثة أوجه في الاتصال والتناسب، الأول: هو ما ذكره الإمامان السيوطي والآلوسي. والثاني: أن في كليهما ذكر شيء يتعلق بالسماء. والثالث: أنه ذكر هنا عذاب من يعصي الله ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾(الجن:23)، وذكر هناك العذاب المترتب على العصيان ﴿أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾(نوح:25)[6].

---

[1] - ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص292.

[2] - ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص460-461، **مصاعد النظر**، ج3، ص127.

[3] - ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج20، ص461-462.

[4] - ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص129.

[5] - ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص91.

[6] - ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص92.

كما بين الشيخ الغماري التناسب ببيان أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة الأدلة المتعددة على توحيد الله وسعة نعمته وعظيم مغفرته، ومع ذلك أصروا واستكبروا ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ..﴾ (نوح: 23)، فذكر في هذه السورة أن الجن –وهم جنس مختلف– حين سمعوا القرآن آمنو به، وأقلعوا عن الشرك، وفيه تعريض على أن الجن أحسن حالاً من كفار الإنس وأسعد بقبول الحق، ويؤكد هذا التعريض حرصهم على استماع القرآن[1].

واعتمد الهرري على أوجه الإمام المراغي، ثم جاء بقول الإمام أبي حيان[2].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

الإمامان ابن الزبير الغرناطي وأبو حيان الأندلسي أوجدا الرباط الناظم بين السور، وكيف أن هذه السورة فيها التبكيت بمشركي العرب على عدم إيمانهم مع كون رسولهم من أنفسهم، وكتابهم بلغتهم، في حين أن الجن الذين هم من جنس مختلف سبقوهم إلى الإيمان بعد مجيء نور الهدى والتوحيد، وهذا ظاهر في المناسبة.

وتنبه الإمام البقاعي إلى شرف النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى ألان له قلوب الجان، وأن أتباعه أكثر من يدخلون الجنة مع أن بقاءه في أمته قليل مقارنة ببقاء الأنبياء الآخرين مع أممهم وهذه مناسبة ظاهرة. والمناسبة الثانية هي التي ذكرها الإمامان الغرناطي وأبو حيان.

ولم يجد الإمام السيوطي في المناسبة إلا وجهاً واحداً وهي الآية المتعلقة بالاستغفار في الأولى والاستقامة في الثانية، وأن التقوى سبب في نزول الرحمات والبركات.

و ما ذكره الإمام المراغي لا يخرج عما أشار إليه السابقون ببيان أن الأولى فيه عظيم رحمته ومغفرته بعباده إن هم تابوا ورجعوا، ولكنهم أبوا، فعقب بحديث الجن وإيمانهم –الذين هم من جنس مختلف– تبكيتاً لهم، وهي مناسبة بينة.

---

[1] – ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص133.

[2] – ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص283-284.

وظهر لي وجهان في التناسب:

١- أن خاتمة سورة نوح تأخذ بنا إلى أجواء مشهد فناء البشرية، وتطهير الأرض منهم بعد دعاء نبيهم عليهم، وكأنه لم يبق بعدها كلامٌ فيهم وذلك لهلاكهم وفنائهم، فجاء الكلام في مخلوق آخر من جنسٍ مختلف وهم الجن، فمجيء هذه السورة بعد سورة نوح ألتمس فيها هذه اللطيفة والله أعلم.

٢- أن فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ببيان أن قوم نوح وجب تطهير الأرض منهم لأن وجودهم كان يحول بينه وبين نشر الدعوة، أما أنت فدعوتك قد بلغت الآفاق حتى غدت تشمل الجنس الآخر فوجد من الجن من تعجب بالقرآن، ووصفه بالهدى والرشد معلنين إيمانهم، وهذا فيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أن شأن دعوته يختلف عن شأن دعوة نوح عليه السلام.

المبحث الخامس: التناسب بين فاتحة سورة المزمل وخاتمة سورة الجن

خاتمة سورة الجن:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ۝٢٥ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾ [الجن: 25-28].

فاتحة سورة المزمل:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: 1-9].

أولًا: التعريف بسورة المزمل

اختلف في مكيتها ومدنيتها، ومذهب الإمام الرازي ومن قبله الإمام القرطبي أن صدر السورة نزلت بمكة، وأن آخر آية فيها نزلت بالمدينة بعد سنين من نزول أول السورة. واختلف كذلك في ترتيب نزولها، لكن الجمهور على أنها نزلت بعد المدثر، فيحتمل أن تكون هي الثالثة والقلم الرابعة، ويحتمل العكس، وعدد آياتها في العد المدني ثماني عشرة آية. من أغراضها الإشعار بملاطفة الله تعالى لنبيه، وفيه تثبيت النبي بتحمل بلاغ الوحي، وبيان أن تحميله عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة يوجب الاجتهاد في العبادة، والإعراض عن تكذيب المشركين، واشتملت على الوعيد بذكر ما حل بفرعون وقومه، وذكر القيامة ووصف أهوالها، والدعوة إلى التوبة وغير ذلك[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

وجه المناسبة التي أوردها الإمام الغرناطي أنه لما ذكر إسلام الجن في السابقة واستجابتهم لدعوته، وحرمان من كان أولى بالاستجابة وأجدر بالإنابة، صرف الكلام في هذه إلى الأمر بما يلزمه من وظائف عبادته في ليله ونهاره، مفتتحاً ذلك بألطف مخاطبة تسلية له عليه السلام، لئلا يكترث بعناد المعاندين والمكذبين. والذي يشهد لهذا الغرض، هو قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ (المزمل: ١٠، ١١)، ثم ختم السورة بالاستغفار مما تقدم من عناد الجاحدين المذكورين في السورة السابقة[2].

---

[1] ينظر: أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت، ج9،ص49. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص255.

[2] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص197.

وأوضح الإمام أبو حيان أن في آخر ما قبلها ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ..﴾ الآيات، فأتبعت بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل:1) إعلاماً ببيان أنه صلى الله عليم وسلم ممن ارتضاه من الرسل، وخصه بخصائص، وكفاه شر أعدائه[1].

وذكر الإمام البقاعي وجه اتصالها بما قبلها بأن في السابقة ذكر تعظيم الوحي، وأن من تعظيمه حفظ المرسل به من جميع الآفات والنواقص، لأنه موكل بالبلاغ عن الله وتلقي رسالته، فهيأه لذلك وأطلعه على ما أراد من غيبه سبحانه، وفي هذه دعوة إلى تحمل أعباء هذه الرسالة، والمناجاة بالوحي في ليله ونهاره ليزكي به نفسه، ويتقوى به على علاج أهل الضلالة[2].

كما أشار الإمام السيوطي إلى الاتصال ببيان أن في تلك جاء قوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾(الجن 18-19)، وفي هذه ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾"[3].

وبين الإمام الآلوسي وجه المناسبة أن سورة الجن ختمت بذكر الرسل عليهم السلام وافتتح هذه بذكر ما يتعلق بخاتمهم[4].

وأورد الإمام المراغي مناسبتين أخذاً من الإمامين السيوطي والآلوسي[5].

وذكر الشيخ الغماري أنه تقدم في السورة السابقة مدح القرآن، وسماه هدى ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، أمر في هذه نبيه بالقيام به وترتيله، والاستعداد لما سينزل عليه.

---

[1] – أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص311، بتصرف بسيط.

[2] – ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص1-2.

[3] – ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص129-130.

[4] – ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص112.

[5] – ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص109.

وأورد مناسبة أخرى وهي الإشارة إلى تعدد حكم الوحي وفوائده، فذكر من حكمه هناك الرشد والهداية، وذكر هنا القيام به وتلاوته على وجه التثبت والتأني[1].

وأما الهرري فبعد نقله لكلام المراغي أورد مناسبة الإمام أبي حيان[2].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

بعد التأمل في وجوه المناسبة عند المفسرين، نجد أن كل واحد منهم نحى منحى يختلف عن الآخر، فلدى الإمام الغرناطي المناسبة الأساسية هي في تسليته صلى الله عليه وسلم بالخطاب اللطيف؛ لئلا يكترث بعناد المعاندين. وتلك مناسبة ظاهرة.

وأما صاحب البحر والإمام البقاعي فالمناسبة عندهما من جهة الوحي والموحى إليه، حيث عظمه هناك، ومن دواعي حفظه حفظ الموحى إليه، فأمره في هذه بالوظائف والعبادات، وهي مناسبة لطيفة.

وذكر الإمام السيوطي المناسبة من ناحية مجيء ذكره عليه السلام في السورتين، وهو من صور التناسب.

كما بين الإمام الآلوسي المناسبة من ناحية ذكر الرسل هناك، وذكر النبي الخاتم هنا، وهذا واضح في التناسب.

وأما المناسبة عند الشيخ الغماري فمن جهة ذكر القرآن، فهناك سماه هدى، وهنا جاء الأمر بترتيله، والقيام به، وهذا من صور التناسب أيضاً.

وقد ظهر لي وجه في التناسب وهو أنه تعالى قال في نهاية الجن ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ (الجن:25) الحديث هنا عن القيامة، والحديث في مطلع سورة المزمل عن النبي –صلى الله عليه وسلم– إشارة إلى أن بعثته عليه السلام دليل وبرهان على أنه بين يدي الساعة كما ثبت ذلك في السنة الصحيحة.

---

[1] – ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص134.

[2] – ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص339.

المبحث السادس: التناسب بين فاتحة سورة المدثر وخاتمة سورة المزمل

خاتمة سورة المزمل:

قال الله تعالى:﴿۞إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: 20].

فاتحة سورة المدثر:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر: 1-10].

أولًا: التعريف بسورة المدثر

مكية باتفاق، والروايات التي تفيد أنها أول ما نزل من القرآن تتحدث عن فترة الوحي، والفترة إنما تقع بين شيئين، فتقتضي وحياً نزل قبل سورة المدثر، –وهي الأربع آيات من سورة العلق، فـ "كان أول لقاء بين الملك الذي يحمل الوحي بالقرآن وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قول الحق تبارك وتعالى: {اقرأ}"[1]، "ثم فتر عنه الوحي مدة ليشتاق إليه وليكون أعظم لموقعه عنده"[2]–، نزلت بعد سورة العلق، وأن سورة المزمل ثالثة، وأن سورة المدثر رابعة، وعدد آيها خمسٌ وخمسون. ومن أغراضها تكريم النبي بإبلاغ دعوة الرسالة، وإعلان الوحدانية، ونبذ الأصنام، والدعوة إلى الصدقات، والأمر بالصبر، والرد على المشركين وإنذارهم بهول البعث، ووصف جهنم وغير ذلك[3].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

ذكر الإمام ابن الزبير الغرناطي أن سورة المدثر ملائمتها لما قبلها واضح، وذلك من الاستفتاح بنمط واحد، وتكريمه بجليل الخطاب، والأمر بقيام الليل. وفي الأولى ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾(المزمل:10)، وفي هذه ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ (المدثر:7)، وأتبع أمره بالصبر في المزمل بتهديد الكفار ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ (المزمل:11)، وفي هذه بتهديدهم أيضاً ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾(المدثر:11)، فالسورتان واردتان في معرض واحد، وقصد متحد[4].

---

[1] الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، **تفسير الشعراوي – الخواطر**، مطابع أخبار اليوم، ج1، ص41.

[2] السعدي، **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن** – وهو مختصر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– ن: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط:1، 1422هـ، ج1، ص291.

[3] ينظر: ابن عاشور، **التحرير التنوير**، ج 29 ص 292–293.

[4] – ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص197.

وما أورده الإمام أبو حيان هو الذي ذكره الإمام الغرناطي، إلا أنه أضاف مناسبة قوله تعالى ﴿إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ (المزمل:19) في تلك مع قوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدثر:1-2)[1].

وقال الإمام البقاعي (لما ختمت «المزمل» بالبشارة لأرباب البصارة بعدما بدئت بالاجتهاد في الخدمة المهيئة للقيام بأعباء الدعوة، افتتحت هذه بمحط حكمة الرسالة وهي النذارة لأصحاب الخسارة)[2].

ومن باب الزيادة أذكر ما أشار إليه الإمام السيوطي من تآخي هذه السورة مع سابقتها في الافتتاح بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم، وصدر كليهما نازل في قصة واحدة، وكذلك تواليهما في النزول.(ويرجح أنها نزلت بعد سورة المزمل والله أعلم)[3].

وكذلك ما أورده الإمام الآلوسي في اتصال السورتين من ناحية الاستفتاح بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك نزولهما في قصة واحدة، وبدئت تلك بالأمر بقيام الليل وهو عبادة خاصة، فيه تكميل نفسه، وهذه بالأمر بالإنذار للعالمين وفيه من تكميل الغير ما فيه[4].

وكذا ما أورده الإمام المراغي من أوجه للمناسبة من التآخي في الافتتاح، ونزول صدر كليهما في قصة واحدة، والإشارة فيهما إلى الأمر بقيام الليل وفيه تكميل نفسه، والثاني بالدعوة والبلاغ وهو تكميل لسواه[5].

والمناسبة عند الشيخ الغماري من وجوه:

الأول: توالي السورتين في النزول (يقول بنزولها بعد المزمل)، وأن كلتيهما سجلت حالة من حالتيه عليه الصلاة والسلام.

---

[1] – ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص324.

[2] – البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص39-40.

[3] – ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص130.

[4] – ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص128.

[5] – ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص124.

والثاني: أنه في السابقة أمر بقيام الليل استعداداً لما يلقى إليه من الوحي، وفي هذه أمر بالإنذار بما معه من الوحي.

والثالث: أنه أمر في السابقة بترتيل القرآن وتدبره، وذكر هنا وعيد المكذب به ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ..﴾ الآيات.

والرابع: أن هناك توعد المكذبين بهول القيامة، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾(المزمل17-18)، وذكر هنا ما يحصل لهم من العذاب في ذلك اليوم ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ..﴾ الآيات (المدثر 38-48)[1].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

وجدنا أن المفسرين لم يتعرضوا للمناسبة بين الفاتحة والخاتمة بشكل مباشر في هذه السورة، وأن جُلَّ ما أشاروا إليه هو التناسب من جهة الفاتحة، واتحاد الخطاب، ونزولهما في قصة واحدة، وتواليهما في النزول – على اختلاف في التي نزلت أولاً–، والأمر بقيام الليل في الأولى والإنذار في الثانية، فالسورتان وردتا في معرض واحد وسياق متحد، وكل هذه مناسبات عامة، وليست بين الفاتحة والخاتمة.

ولذا أجتهد في ذكر **بعض الأوجه التي تتعلق بالفاتحة والخاتمة** فأقول:

١- أن في خاتمة سورة المزمل أمْرٌ ببعض شرائع الإسلام منها الصلاة، وفي هذه قال ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وعلى وجه المراد منه هو التكبير للصلوات تكون المناسبة ظاهرة، فإن قيل هذه من أوائل ما نزل بعد البعثة ولم تفرض الصلاة بعد؟ فالجواب أنه لا يبعد أن تكون له صلوات تطوعية أُمِرَ أن يكبر ربه فيها كما أشار إلى ذلك الإمام الرازي.

٢- أن في هذه أمرٌ لنبيه عليه السلام بالصبر على الأوامر والنواهي الإلهية التي ذكرت بعضها في آخر تلك كالدعوة والجهاد، وقيام الليل وقراءة القرآن والله أعلم.

---

[1] - ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص135-136.

المبحث السابع: التناسب بين فاتحة سورة القيامة وخاتمة سورة المدثر

خاتمة سورة المدثر:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٥٣ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾ [المدثر: 53-56].

فاتحة سورة القيامة:

قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦﴾ [القيامة: 1-6].

أولًا: التعريف بسورة القيامة

مكية باتفاق، سميت بالقيامة؛ لوقوع القسم بالقيامة في أولها، نزلت بعد سورة القارعة وقبل سورة الهمزة، وعدد آيها تسعاً وثلاثين آية. من أغراضها إثبات البعث، والتذكير بيوم القيامة، وبيان اختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء، والتذكير بالموت، والزجر عن إيثار الدنيا إلى غير ذلك من المقاصد النبيلة، بالإضافة إلى آية عدم الاستعجال "﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ .. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(القيامة 16-19)، لأنها نزلت في أثناء نزول هذه السورة[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

أظهر الإمام ابن الزبير التناسب ببيان أن الله أخبر في السابقة عن أهل الكفار ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾(المدثر:46)، وتقدم في صدر نفس السورة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ إلى ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾(المدثر:8-10)، والمراد هو يوم القيامة، وجاء الوعيد بعدها للمكذب به ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ﴾، ثم تكرر ذكره عند جواب من سئل بقوله ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ (المدثر:42)، فبسط القول في هذه السورة ما تكرر في الأخرى في بيان ذلك اليوم وأهواله، وأشير إلى حال من كذب "يسأل أيان يوم القيامة"، ثم أتبع بذكر أحوال الخلائق في ذلك اليوم "﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾(القيامة:13)[2].

وبين الإمام أبو حيان أن تلك في آخرها ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾(المدثر:53)، وذكر هنا يوم القيامة وأحوالها[3].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص336-337. وينظر: محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ن: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة -القاهرة، ط:1- مارس1998، ج15، ص195.

[2] ينظر: الغرناطي، **البرهان**، ص198.

[3] - ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص343.

وأوضح الإمام البقاعي التناسب ببيان أن السابقة فيها الدلالة على عظمة المدثر، المأمور بالإنذار – صلى الله عليه وسلم– لعظمة مرسله سبحانه، وبين في آخرها أن هذا القرآن تذكرة عظيمة؛ لوضوح المعاني وعذوبة الألفاظ، وإنما المانع من الاتعاظ هو مشيئته، فمن شاء حجبه عنه، ومن شاء حجبه عن بعضه، ومن شاء كشف عنه الحجاب، فصار على نور من ربه، كالمدثر –صلى الله عليه وسلم–ثم بدأ في هذه فأقسم بالقيامة، ولا يحتاج إلى القسم لشدة وضوحه، لأنه لا يوجد أحد يدع من تحت يده يعدو بعضهم على بعض، فكيف بأحكم الحاكمين سبحانه[1]؟!.

مناسبة أخرى وهي أنه تعالى لما ذكر الآخرة في أول المدثر، وخوف منها بالتعبير بالناقور وما تبعه، ثم أعاد أمرها في آخرها، وختم بالتقوى كونها من أعظم أسباب النجاح والمغفرة، وكان الكفار يكذبون بها، فبدأ هذه بتعظيمها والتهويل في أمرها بإثبات أمرها بالإقسام والتأكيد[2].

وأشار الإمام السيوطي إلى المناسبة بأنه قال في آخر المدثر: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾(المدثر:53) بعد ذكر الجنة والنار، وكان عدم خوفهم منها بسبب إنكارهم البعث، فجاء في أول هذه بدليل على البعث من أوجه، ووصف القيامة وأهوالها، ثم ذكر خروج الروح من البدن، ثم ما قبل ذلك من مبدأ الخلق، فذكرت الأحوال الثلاثة في هذه السورة على عكس الواقع[3].

وتابع الإمام الآلوسي الإمام السيوطي[4]. وكذلك الإمام المراغي[5]، والهرري[6].

---

[1] – ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص82–84، **مصاعد النظر**، ج3، ص139–140.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص84–85.

[3] – ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص130.

[4] – ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص150.

[5] – ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص144.

[6] – ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص433.

وذكر الشيخ الغماري أنه جاء اعتراف الكفار في النار في السورة السابقة وهم في سقر وبين في هذه أن من أسباب دخولهم فيها تكذيبهم بيوم الدين، فافتتح هذه بالقسم به[1].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

نجد أن أقوال المفسرين لا تخرج عن كونها متفقة أو متقاربة، وتصب في معنى واحد، وذلك لشدة الاتصال بين السورتين، فمقاصدهما واحدة كإثبات البعث والجزاء، وذكر المكذبين وبيان حالهم في النار، وذكر المؤمنين وبيان حالهم في الجنة، ومن هنا تجد المناسبة واضحة بين السورتين.

ويستحب للقارئ إذا بلغ آخرها أن يقول "بلى"، وقد وردت في ذلك بعض الآثار، كالذي رواه عبد الله بن وهب –وهو من أصحاب الإمام مالك– حيث قال: (وأخبرني سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أمية عن شيخ سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قرأ أحدكم: {والتين والزيتون}، فبلغ آخرها فليقل: بلى، وإذا قرأ: {لا أقسم بيوم القيامة}، فبلغ آخرها، فليقل: بلى، وإذا قرأ {والمرسلات عرفا}، فبلغ آخرها: {فبأي حديث بعده يؤمنون}، فليقل: {آمنا بالله})[2].

وقد ظهر لي وجه في التناسب وهو أنه قال في السورة السابقة ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر ٣٨) أي معتقلة بأعمالها ومرتهنة بكسبها، وجاء في هذه قوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة ١٣) أي يُخبَرُ بجميع أعماله التي كانت رهينة مع كل نفس.

---

[1] – ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص136.

[2] – ابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: 197هـ)، **تفسير القرآن من الجامع لابن وهب**، ت: ميكلوش موراني، ن: دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2003 م، ج3، ص17.

المبحث الثامن: التناسب بين فاتحة سورة الإنسان وخاتمة سورة القيامة

خاتمة سورة القيامة:

قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: 36-40].

فاتحة سورة الإنسان:

قال الله تعالى:﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: 1-4].

أولًا: التعريف بسورة الإنسان

وتسمى سورة الدهر، وسورة الأمشاج، وسورة الأبرار، واختلف في مكيتها ومدنيتها، والأصح أنها مكية بناءً على أسلوبها وطبيعة موضوعاتها، وتعد الثامنة والتسعين في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة الرحمن وقبل سورة الطلاق، وعدد آيها إحدى وثلاثون باتفاق أهل العدد. من أغراضها التذكير بأن كل إنسان كان عدماً فأوجده الله فينبغي أن يحتقر نفسه، وإفراد الله تعالى بالعبادة، وإثبات الجزاء، وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من أن يلين للكافرين، والإشارة إلى اصطفائه للرسالة وأنها نعمة عظيمة تستحق الشكر، والإقبال على ذكر الله والصلاة، وغير ذلك[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

أشار الإمام ابن الزبير الغرناطي إلى أنه لما تقدم في سورة القيامة الإخبار عن حال منكري البعث عناداً واستكباراً ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾(القيامة: 3)، وقال في آخرها ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ...﴾ الآيات (القيامة:31-33) أي يتبختر عتوا واستكباراً وفرحاً وتجبراً، عرَّفه بحاله التي لو علمها لما كان منه هذا الوصف ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ (القيامة 37-38)، ثم أتبع في هذه بما هو أعمق في التوبيخ وأوغل في التعريف وأنه قد كان لا شيء، ثم نقله من طور إلى طور حتى أنعم عليه بنعمة الإيجاد، فمن اعتبر اتصافه بالعدم، ثم تقلبه في هذه الأطوار عرف حرمان من وصف في قوله: "ثم ذهب إلى أهله يتمطى"[2].

وقد ذكر الإمام أبو حيان في مناسبتها لما قبلها بأنها واضحة جداً لا تحتاج إلى شرح[3].

---

[1] ينظر، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوري الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (المتوفى: بعد 553هـ)، **باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن**، ت: (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد باقي، ن:جامعة أم القرى –مكة المكرمة، س.ن: 1419 هـ - 1998م، ج3، ص1597. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29 ص 370-371.

[2] ينظر: الغرناطي، **البرهان**، ص198.

[3] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص358

وبين الإمام البقاعي أن مقصود هذه السورة هو ترهيب الإنسان من الكفران الذي دل عليه آخر القيامة، فبدأ هذه بتذكير الإنسان بخلقه وإيجاده ليتأمل ويتدبر[1]. وأشار كذلك إلى أنه لما تقدم في آخر القيامة التهديد على التكذيب بدأ هذه بالاستفهام الإنكاري تأكيداً على أنه لا يترك الإنسان سدى[2].

كما أوضح الإمام السيوطي أن وجه اتصالها بما قبلها في غاية الوضوح، حيث ذكر في آخر تلك مبدأ خلق الإنسان من نطفة، ثم ذكر مثل ذلك في مطلع هذه السورة. واختلف المتعلق به –أي بذكر خلقه من نطفة– في المكانين، فهناك قال "فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى" وهنا قال: "فجعلناه سميعاً بصيرا"، ثم رتب عليه هداية السبيل وتقسيمه إلى شاكر وكفور. وجه آخر هو أنه لما وصف يوم القيامة في سورة القيامة جاء بوصف الجنة والنار على سبيل الإجمال، وفصلهما في سورة الإنسان، وأطنب في وصف الجنة، كل ذلك كان وصفاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾(القيامة:22)، وقوله هنا ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ (الإنسان 4) شرح لقوله هناك :﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾(القيامة: 25).

وذكر هناك ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾(القيامة 20-21) وذكر هنا ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (الإنسان 27)[3].

واكتفى الإمام الآلوسي بذكر أن المناسبة بينها وبين ما قبلها في غاية الوضوح. ولم يأت بأي شيء آخر[4].

وبين الإمام المراغي في وجه اتصالها أن في السابقة ذكر للأهوال التي يلقاها الفجار يوم القيامة، وفي هذه ذكر لما يلقاه الأبرار من النعيم المقيم يومئذ[5].

---

[1] – ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص120، **مصاعد النظر**، ج3، ص144-145.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ج21، ص120-121.

[3] – ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص130-131.

[4] – ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص166.

[5] – ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص159.

وبين الشيخ الغماري أنه تعالى ذكر في سورة القيامة قسمين من الناس: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾(القيامة: 20)، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾(القيامة: 24)، وذكر هنا ثواب أهل النضرة بالتفصيل. وأيضا تتفق هذه السورة مع سابقتها في الكلام على البعث وما يليه[1].

ونقل الهرري كلام الإمام المراغي، ثم ذكر قول الإمام أبي حيان بنفس عبارته في أن مناسبتها لما قبلها ظاهرةٌ جداً لا تحتاج إلى شرح[2].

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال الاطلاع على أقوال المفسرين ودراستها نجد أن المتقدمين وأعني تحديداً – الغرناطي والبقاعي وكذلك السيوطي– تحدثوا بشيء من التفصيل بخلاف المتأخرين، وكذلك وجدنا صنفاً منهم لم يتكلم في المناسبة أصلاً؛ معللا بأنها لا تحتاج إلى بيان، لشدة وضوحها كالإمام أبي حيان.

لكن وجد من المفسرين من كان أكثر إبداعاً في إظهار تلك المناسبة وأكثر تفنناً، كالإمام الغرناطي –رحمه الله– الذي أحسن في إظهارها بشكل دقيق، فأبدع في الحقيقة وأجاد. وكذلك الأمر مع الإمام البقاعي ومن بعده الإمام السيوطي الذي أتى بجملة من الوجوه الجميلة، منها ذكره للمتعلق بالخلق من النطفة في السورتين. والإشارة إلى ذكر الجنة والنار بشكل مجمل ومفصل في السورتين.

وكذلك من جاء بعدهم تفنن في إظهار المناسبة كالإمام الغماري حين أشار إلى أن ما جاء في سورة الإنسان شرح وبيان للقسمين من الناس الذين ذكروا في آخر القيامة.

وقد ظهر لي وجه في المناسبة وهو أن الله تعالى فصل في سورة القيامة عذاب الكافرين، فأكثر آياتها فيهم، وفصل في سورة الإنسان نعيم المؤمنين وأكثر آياتها فيهم.

---

[1] – ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص139.

[2] – ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص473.

المبحث التاسع: التناسب بين فاتحة سورة المرسلات وخاتمة سورة الإنسان

خاتمة سورة الإنسان:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلٗا ٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان: 27-31].

فاتحة سورة المرسلات:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ [المرسلات: 1-15].

أولًا: التعريف بسورة المرسلات

مكية، وهي من أوائل سور القرآن نزولاً لأنها نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم مختف في غار بمنى مع بعض أصحابه، وهي السورة الثالثة والثلاثون في عداد ترتيب نزول السور، كما اتفق العادون على عد آيها خمسين.

من أغراضها الاستدلال على وقوع البعث، وعلى إمكان إعادة الخلق، ووعيد منكريه بعذاب الآخرة، ووصف أهواله، والتعريض بعذاب لهم في الدنيا، ومقابلة ذلك بجزاء المؤمنين، وكرامتهم عند ربهم في جنات النعيم، والتصديق بالقرآن لظهور دلائله[1].

ثانيًا: أوجه التناسب عند المفسرين

ذكر الإمام الغرناطي أن الله تعالى أقسم بالملائكة على اختلاف أقسامهم ووظائفهم، وأقسم بالرياح المسخرة بين السماء والأرض، أقسم بتلك المخلوقات على صدق الموعود في قوله ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾ الآيات، (الإنسان:4) وقوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ الآيات (الإنسان:12) إلى ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ (الإنسان:22)، وقوله ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ (الإنسان:27)، وقوله ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾(الإنسان:31)، ولو لم يتقدم إلا هذا الوعيد الذي اختتم به السورة لطابقه افتتاح الأخرى أشد مطابقة، فكيف وسورة الإنسان كلها مواعيد أخروية، فأقسم في هذه على صحة وقوع تلك المواعيد[2].

وقال الإمام أبو حيان في مناسبتها لما قبلها (وهو أنه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين، فهذا وعد منه صادق، فأقسم على وقوعه في هذه فقال: إنما توعدون لواقع)[3].

---

[1] – ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص418-419.

[2] – ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص199.

[3] – أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص373.

وبين الإمام البقاعي أن مقصودها هو الدلالة على ما في آخر الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم[1].

وجاء بمناسبة أخرى أنه لما ختمت سورة الإنسان بالوعد لأوليائه والوعيد لأعدائه، وكان الكفار يكذبون بذلك، افتتح هذه بالإقسام على أن ذلك كائن وواقع[2].

ووجه اتصالها عند الإمام السيوطي أنه لما أخبر سبحانه في خاتمة السورة السابقة أنه ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾(الإنسان:31) افتتح هذه بالقسم على أن ما يوعدون لواقع، وفيه تحقيق لوعد الله للمؤمنين، والوعيد للظالمين، ثم أتبع بذكر أشراطه ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ..﴾ (المرسلات:8) الآيات. ويحتمل أن يكون المقصود من "إنما توعدون" جميع ما تضمنته السورة من الوعد والوعيد[3].

ووجه المناسبة عند الإمام الآلوسي هو الذي أورده الإمام السيوطي[4].

وأما عند الإمام المراغي فالإقسام على تحقيق ما تضمنته السورة قبلها[5].

وعند الشيخ الغماري تتناسب هذه مع سابقتها في الكلام على البعث وما بعده من نعيم أو عذاب[6].

وأورد الهرري أوجه الإمام المراغي بالإضافة إلى مناسبة الإمام أبي حيان صاحب البحر[7].

---

[1] – ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص164، **مصاعد النظر**، ج3، ص147.

[2] – ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص164-165.

[3] – ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص131-132.

[4] – ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص187.

[5] – ينظر: **تفسير المراغي**، ج29، ص178.

[6] – ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص140.

[7] – ينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج30، ص527.

ثالثًا: توجيه أقوال المفسرين

من خلال تتبع أقوال المفسرين في التناسب نجد أن أقوالهم واحدة، وتفسيراتهم متحدة؛ لاتحاد موضوعات السورتين، فالغرض الأساسي منهما هو إثبات البعث والجزاء.

لكن نلاحظ أن الذي ربط بين الفاتحة والخاتمة ذكر بأن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾(المرسلات:7) تحقيق لآخر آية في سورة الإنسان، والذي ربط بين السورتين ككل حمل هذه الآية على تحقيق كل المواعيد التي تضمنتها السورة السابقة، والوجهان صحيحان، والرأيان سديدان، وكلاهما من أوجه التناسب بين السورتين.

وظهر لي وجه في المناسبة أن في سورة القيامة ذكر بداية الخلق ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ (القيامة: 37-39) ثم في سورة الإنسان ذكر إتمام بناء الإنسان ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾(الإنسان:28)، ثم لما كانت قوة الإنسان مظنة كبريائه ذكر مهانة أصله ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾(المرسلات:20).

آخر الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فقد **خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها:**

١- أن المتتبع للمناسبات بين الفاتحة والخاتمة يجد أن سور القرآن الكريم مرتبطة ببعضها بشكل بديع.

٢- علماؤنا -رحمهم الله- اهتموا بشتى أنواع المناسبات في القرآن، ومنها المناسبات بين الفواتح والخواتم؛ فهي تعين على فهم كتاب الله وتدبره، وتساعد في الكشف عن أوجه الإعجاز المختلفة فيه.

٣- المناسبة قد تكون واضحة جلية، وقد تكون خفية تحتاج إلى مزيد تأمل وتدبر، وعدم ظهورها في مواضع لا تعني عدم وجودها.

٤- هناك سور اتفقت وجوه المناسبة فيها عند المفسرين، وهناك سور تباينت فيها آراؤهم، والاختلاف في هذا المجال هو من باب اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

٥- من المفسرين من اعتنى بذكر المناسبات بين فواتح السور وخواتم ما قبلها ضمناً في تفاسيرهم، كالإمام الرازي والإمام ابن الزبير الغرناطي والإمام أبي حيان، وبالمقابل هناك من أفرد بالتصنيف في هذا الجانب، كالإمام البقاعي والإمام السيوطي، فكل هؤلاء وغيرهم لهم جهود عظيمة في إبراز المناسبات.

٦- بعض المفسرين اكتفى بسرد أقوال السابقين في المناسبات، وبعضهم أضاف إلى أقوالهم أوجهًا جديدة.

٧- لاحظت الدراسة أنَّ لغة المفسرين القدامى في الطرح تختلف عن لغة المعاصرين، فأسلوب القدامى يتسم بالطول والتعمق -وخاصة الإمام البقاعي- بخلاف المعاصرين الذين يتميزون بتبسيط الأقوال وعرضها بشكل أوضح.

٨- الأئمة: الرازي وابن الزبير الغرناطي وأبو حيان والسيوطي ممن توسطوا في الأخذ بالمناسبات بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، ولم يتكلفوا في البحث عنها.

٩- ظهور تأثر الإمام الآلوسي بالإمام السيوطي ولعله يرجع ذلك إلى تميز الأول في ذكر المناسبات في نقاط منفصلة بلغة واضحة وأسلوب سلس.

١٠- اكتفاء بعض المعاصرين بكلام السابقين كالإمام المراغي الذي كان كثيراً ما يعتمد على الإمام السيوطي، لكن كان لا يخلو كلامه من إضافات خاصة به، ووجد فيهم من اعتمد كلياً على من سبقه كالهرري الذي كان اعتماده على الإمام المراغي والإمام أبي حيان.

١١- وجد من المعاصرين من حرص على عدم التكرار، والاجتهاد في الإتيان بجديد كالشيخ الغماري الذي كان يأتي في كثير من الأحيان بوجوه للمناسبة لم يسبق إليها من قبل، وقد تميز في هذا الأمر.

١٢- يعد الإمام الرازي من أشهر من تكلم في المناسبات، لكنه لم يتعرض لذكرها من سورة الملك، وهذا لم أجد له تفسيراً إلا القول بأنه لم يكمل تفسيره، وإنما أكمله بعض تلامذته، ولو سلمنا بهذا فالإشكالية ما زالت قائمة لأنهم ذكروا أن الرازي بلغ في تفسيره إلى آخر القصص، وبذلك يكون ما قبل سورة الملك وما بعده مما أكمله تلميذه، فيبقى السؤال قائماً، وتبقى الإشكالية مطروحة.

يوصي الباحث في ختام الدراسة إلى الآتي:

١- التوسع في إظهار هذا الموضوع بحيث تبرز أسرار الترابط القرآني وعجائبه.

٢- أن يكون هناك تفسير متكامل يهتم بالدرجة الأولى بعلم المناسبات مما سيفتح آفاقاً جديدة في تدبر كتاب الله.

٣- هذه الدراسة بحاجة إلى دراسات أخرى تعتني بهذا المجال، وخاصة في إبراز العلاقة بين أسلوب القرآن في افتتاح السورة وعلاقتها بخاتمة السابقة، وكذلك التأثير الذي يتركه هذا الأسلوب في نفس القارئ أو المستمع، لذا فعلى المؤسسات التعليمية العناية بهذه الدراسات والاهتمام بها وتوجيه الباحثين إلى دراسته

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم

أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو 360هـ)، **النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**، ت:شايع بن عبده بن شايع الأسمري، ن: دار القيم -دار ابن عفان، ط:1 1424 هـ - 2003م

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ت.ط1415هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري** (ت256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ت: عبد الرزاق المهدي، ن : دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط:1 ، 1420 هـ

البقاعي، إبراهيم بن عمر (المتوفى: 885هـ)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف – الرياض، ط:1، ت.ط:1408هـ.

البقاعي، إبراهيم بن عمر (المتوفى: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة، 1984م.

بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: 1419هـ)، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ن: دار المعارف -القاهرة، ط:7

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (المتوفى: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:1 - 1418 هـ

التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ت: محمد باسل عيون السود، ن: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1 - 1423 هـ

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:1 - 1418 هـ

الجصاص، أحمد بن علي، أبو بكر الرازي (المتوفى: 370هـ)، **أحكام القرآن للجصاص**، ت: عبد السلام محمد علي شاهين، ن: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط:1، 1415هـ/1994م

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، ت:صدقي محمد جميل، ن: دار الفكر- بيروت، ط: 1420هـ

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي (المتوفى: 606هـ)، **مفاتيح الغيب**، مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إياء التراث العربي – بيروت، ط:4 ، ت.ط: 2001م.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ت: عبد الجليل عبده شلبي، ن: عالم الكتب – بيروت، ط:1 1408 هـ - 1988م

الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ن : دار الفكر المعاصر – دمشق، ط:2 ، 1418 هـ

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ن: دار الكتاب العربي – بيروت، ط:3 - 1407هـ

ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المالكي (المتوفى: 399هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة -

محمد بن مصطفى الكنز، ن: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط:1، 1423هـ – 2002م

السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، ن: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط:1، 1422هـ

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ن: مؤسسة الرسالة، ط:1 1420هـ -2000م

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط

سعيد حوّى (المتوفى 1409هـ)، **الأساس في التفسير**، ن: دار السلام –القاهرة

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، **بحر العلوم**، د.ط، د.ت

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، **تفسير القرآن**، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ن: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط:1، 1418هـ- 1997م

السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ت: أحمد محمد الخراط، ن: دار القلم، دمشق، د.ط، د.س

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن**، الطبعة الشرعية الأولى1972، دار الشروق، الطبعة الشرعية السادسة والثلاثون 1428هـ، 2007م، القاهرة، البيروت

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، **تناسق الدرر في تناسب السور**، تحقيق: أحمد عطا، دار الكتب العلمية – لبنان، ط1، ت:ط 1406هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ن: دار الفكر – بيروت، د.ط، د.ت

الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، **تفسير الشعراوي** – الخواطر، مطابع أخبار اليوم.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ن: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، س.ن: 1415هـ - 1995م

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ن: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط:1 - 1414 هـ
ط:6، 1424هـ

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ت: أحمد محمد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420 هـ - 2000 م

ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، ن: الدار التونسية للنشر – تونس، س.ن: 1984م.

ابن عباس، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، ينسب الكتاب لعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد (المتوفى: 817هـ)، ن: دار الكتب العلمية - لبنان، د.ط، د.س

ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ن: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط: 1419هـ

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، (627هـ-708هـ)، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، ط:١، ت.ط: محرم 1428هـ.

الغماري، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني، **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، مكتبة القاهرة – مصر.

الفراء، يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور (المتوفى: 207هـ)، **معاني القرآن**، ت:أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ن: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط:1

الفراهي، عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر الأنصاري الفراهي (ت:1349هـ)، **نظام القرآن**، الدائرة المحمدية – الهند، ط1، 2008م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (المتوفى: 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ن: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:2، 1384هـ - 1964م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ت: سامي بن محمد سلامة، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2 1420هـ - 1999م

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور(المتوفى: 333هـ)، **تأويلات أهل السنة**، ت: مجدي باسلوم، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط:1، 1426 هـ - 2005 م

محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ن: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة -القاهرة، ط:1- مارس1998

محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوري الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (المتوفى: بعد 553هـ)، **باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن**، ت: (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد باقي، ن: جامعة أم القرى -مكة المكرمة، س.ن: 1419 هـ - 1998م

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط:1، 1946م.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ط، د.ت).

النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ)، **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، ت:حنيف بن حسن القاسمي، ن: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط:1 - 1415 هـ

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ت: زكريا عميرات، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1 - 1416هـ

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط1، 2001م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه عبد الحي الفرماوي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط:1 1415 هـ - 1994م

ابن وهب، أبو محمد عبد الله بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: 197هـ)، **تفسير القرآن من الجامع لابن وهب**، ت: ميكلوش موراني، ن: دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2003 م